خلف ستار العشق

رباب خليل

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 28778/ 2019

I.S.B.N: 978-977-6642-86-7

تصميم الغلاف: حسن العربي.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: سمية دويفي

المديـــر العـــام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

خلف ستار العشق

رواية

رباب خليل

إهداء

إلى روح أبي الطيبة كم أنا فخورة لأنني أحمل اسمك أبى الحبيب.

إلى أمي الحبيبة التي وهبتني كل شيء في الحياة بكل حب وعطاء.

إلى إخوتي الذين دعموني وساندوني بكل قوة وثبات وفخر.

إلى توأم روحي «ياسمين» أول من قرأ أعمالي ودعمني وساندني بكل ما أوتيت من قوة ومازالت.

إلى جميلتي وحبيبتي «سعاد» الرقيقة التي بذلت نفسها بكل ما تحمل الكلمة من معنى في تدقيق وتنسيق هذه الرواية التي اعتبرتها روايتها فلم تبخل بوقتها وصحتها في إنجاز هذا التدقيق والتنسيق الرائع.

إلى كل أصدقائي وأحبائي وقرائي أهديكم محبوبتي «خلف ستار العشق " مع خالص تمنياتي لكم بقراءة ممتعة...

رباب خليل

المقدمة

من العشق ما يحيي فيهب الحياة، يزهر العدم، يحيل الخراب إلى عمار، ومنه ما يقتل، فيدمر الأخضر واليابس، يسلب الحياة، يطفئ النور، يظلم الكون؛ فيتحول إلى لعنة؛ فلعنة العشق الأبدي، عندما تسيطر على قلوب البشر قد تدفعهم للتضحية بكل ما هو غال ونفيس مقابل لحظة عشق صادقة، وقد تدفعهم لارتكاب أبشع الجرائم الشيطانية مقابل الحصول على هذا العشق، حتى لو كان بالإكراه، فعندما يثور شيطان العشق؛ يحيل حياة البشر إلى جحيم مستعر، يستبدل السعادة بأبشع ألوان العذاب، فما أبشعه من عشق حينما يكون من طرف واحد، طرف يعشق الآخر حد الجنون.. حد الهذيان.. حد التملك.. حد الموت، بينما الطرف الآخر يرفض هذا العشق بكل جوارحه، بكل ما أوتي من قوة؛ فيتحول العشق إلى لعنة، إلى مرض مزمن لا يمكن منه الشفاء أو النجاة، فلا خلاص منه إلا بالموت...الموت وحده.

الفصل الأول

مولد مارد

في محافظة القاهرة وفي كلية الفنون الجميلة، ولد مارد العشق منذ العام الأول الجامعي في قلب «ياسين»، ذلك الفتى ذو اللون الخمري والعينين العسليتين والبنية الجسدية النحيفة والطويلة نسبيًا، ذو نظرة حادة وغامضة؛ فعندما تنظر داخل عينيه لا تشعر بالراحة بل ربما يصيبك الخوف، أو عدم الشعور بالطمأنينة على أقل تقدير، فهو غامض لأبعد الحدود، مظلم، لا يمكنك أن تستشف ما يكنه في نفسه، ولكنه في المجمل شاب صغير ووسيم، ابن عبد الرحمن «الحلاق»، والده يمتلك صالونا للحلاقة على الطراز القديم ومعروف في منطقته «ببولاق»، ووالدته ربة منزل، وله أختان تكبرانه، إحداهما في السنة النهائية في كلية الصيدلية والأخرى في السنة الثالثة بكلية التجارة، والده رجل صالح وطيب،

يربى أولاده بالحلال ويحرص على أن يكونوا صالحين.

كان» ياسين» مختلفًا عن والده وأسرته، فمنذ صغره وهو يحلم بأن يكون ميسور الحال، بل يحلم بالثراء الفاحش، وكان دائم النظر إلى من هم أعلى منه ويتمنى أن يكون مثلهم بل أفضل، يرفض واقعه، يسبح بخياله في عالم الأحلام الذى يبغيه، فكان يتصرف على هذا الأساس... إنه غني بالفعل؛ يأخذ من والده المال لشراء أفخم الملابس والعطور، ولأنه الصغير؛ فقد نال من الرفاهية والتدليل ما أفسده، فكانت أمه تحبه لا تبخل عليه بشيء مهما كان، حتى نشأ على الأنانية وسياسة الأخذ على الدوام، على الرغم أن ذلك لم يكن يُرضي والده؛ إلا أنه اكتفى بالصمت.

منذ السنة الأولى له بالكلية وقبل نهاية الفصل الدراسي الاول، تعرف على «سيلا»؛ فقد لفتت نظره منذ الوهلة الأولى بطلتها الراقية الجميلة، فهي فتاة رقيقة جدًا غاية في الأناقة والجمال يبدو عليها الثراء من مظهرها الفخم وثيابها الأنيقة وسيارتها التي كانت تستقلها، فضلاً عن إشراقها الأخاذ، فهي فتاة بيضاء طويلة ورشيقة، ذات عينين بنيتين ووجه أبيض دائري وغمازة بإحدى وجنتيها، تظهر عندما تتحدث وتزداد جمالاً وتوهجًا حينما تضحك، مشرقة كقمر مكتمل ينير كل ما ينتهي إليه طرفه؛ فكل هذا قد لفت انتباهه على الفور؛ فوجد نفسه يدنو منها دون إرادة منه وكأنه مسحور مسلوب الإرادة، استوقفها قائلاً:

ـ من أنتِ؟

تراجعت للخلف خطوة في حركة لا إرادية منها ثم قالت متأففة:

ـ ما شأنك أنت؟

انصرفت فناداها بأعلى صوته:

ـ ليكن بعلمكِ أنتِ لي ! التفتت إليه في غضب شديد ثم قالت:

ـ من تظن حالك يا ترى حتى تحادثني هكذا؟ إلزم حدك!

انصرفت تاركة إياه واقف مكانه وكأن الطير تأكل من رأسه، استقلت سيارتها وغادرت أما «ياسين» فظل على حاله، واقفًا مسلطًا ناظريه عليها، وكأنها مازالت أمامه تعلو ثغره ابتسامة غريبة، حتى قطع تلك اللحظات صوت «عادل» وهو يصيح به:

ـ ياسين... أنت يا ياسين، أحدثك منذ الصباح يا أخي، أين شردت هكذا؟ هيا سوف نتأخر على المحاضرة هيا ولا تتلكأ !مهلاً يا «عادل»، دعني قليلاً أبقى في عالمي الجميل هذا، فالمحاضرات لن تطير يا أخي.

ـ بكل تأكيد.

تركه «عادل» وهو يغادر متمتًا:

ـ لقد جن هذا الفتى!

أقسم ياسين على أن تكون تلك الفتاة فتاته منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها، مر الفصل الدراسي الأول، والعام الأول والثاني والثالث، والعلاقة بين «ياسين» و«سيلا»، فرض وجود من «ياسين» بشتى الطرق، وتجاهلاً تامًا متعمدًا من «سيلا» زاده عشقًا لها؛ فقلبها مشغول بغيره، هذا الذي سوف يوقظ الشيطان بداخله.

تُرى ماذا سيفعل؟ ومن هو هذا الغريم الآخر؟

الفصل الثاني

كروفر

خلال السنوات الثلاثة الماضية كان «ياسين» يزداد عشق «سيلا» في قلبه، لكنها لم تكن تراه بالأساس؛ ذلك لأنها مشغولة بعشق شخص آخر، استحوذ هوٍ على قلبها وعقلها؛ فاحتل كيانها بكل سهولة ويسر، لتتوجه ملكًا على قلبها، ركعت له كرامتها، واستسلمت له روحها، كان هذا الشخص هو «عادل».

«عادل» صديق «ياسين» وجاره منذ الصغر ترعرعا سويًا، «عادل» شاب أسمر اللون، طويل، ذو عينين سوداوين ورموش كثيفة، ووجه ضاحك بشوش، طيب القلب ومسالم، والده متوف ولديه ثلاث إخوة يصغرونه، ووالدته تعمل كعاملة بإحدى المستشفيات لتربى أولادها الأيتام، و«عادل» يعمل فى ورشة ميكانيكا للسيارات بجانب كليته ليساعد والدته في تربية إخوته؛

توفي والده وهو في الصف الأول الإعدادي، ومن حينها وهو يعمل في هذه المهنة، برغم كل هذه الظروف؛ إلا إنه الوحيد الذى انجذب له قلب «سيلا».

هو الآخر عشقها لثلاث سنوات ولم ينبت ببنت شفه، كتم عشقه بداخله وصمت، فواقعه أبشع من أن يمنحه هذا الحلم، ابتعد عنها قدر استطاعته، فكلما اقتربت هي منه، يفر هو منها ويولى مدبرًا؛ فلم يكن يسمح لقلبه بأن يتقبل هذا الحب، فهو محرم عليه؛ كحرمة الجنة على إبليس، فالهوه متسعة بينهم سعة ما بين السماء والأرض، كلما اقتربا لا مجال للتلاقي، وهذا ما كان يدركه «عادل» جيدًا لذا انسحب في هدوء.

بصمت كصمت البحر أخفى بداخله عجائب الأسرار، في حين أن «ياسين» كان على النقيض منه، فهو شاب مستهتر دائم السخرية، وصولي يبحث عن المظاهر، يتعالى على من حوله، يرى نفسه سيدًا على لجميع، يسخر من «عادل» ومن عمله، أمام «سيلا « وأصدقائهم، ذلك لأنه قرأ في نظراتها لـ «عادل» كل قصائد العشق التي يتمناها هو؛ فقد كان يريد إسقاط «عادل» من نظرها بكل ما أوتي من دهاء وشر، متعمدًا يذكر عمله في الورشة باستهزاء وكأنه يمزح، في إحدى المرات تعطلت سيارة «سيلا» أمام الجامعة فرآها «عادل»؛ فأسرع ليرى ما بها؟ وبالفعل قام بإصلاحها، وأثناء مرور «ياسين» رأى الموقف؛ فسخر من عادل قائلاً:

ـ أحسنت يا أسطى «عادل»، وهو يضحك !فغضبت منه «سيلا»، أدركت مقصده فعلقت قائلةً:

ـ لحسن الحظ أنك موجود يا «عادل»، لم أكن أدري ماذا سأفعل لولاك؟

فغضب ياسين وشعر بالحقد والغيرة من «عادل»؛ فور مغادرتها، قام بجذب ذراعه بعنف، وبنبرة تهديد همس في آذانه متوعدًا:

ـ ابق بعيداً عن «سيلا» يكن خيرًا لك فهي ملك لي، وإلا سوف أُخبرها بماذا تعمل أمك وأين تعيش؟ فلا تنس !جذب «عادل» ذراعه من يد «ياسين» معقبًا في ثبات وقوة.

ـ لا يعنيني ماذا تفعل أنت أو ماذا يعتقد غيرك؟ لا يعنيني أحد منكم، أفعل ما تريد

ثم تركه وغادر، ومنذ ذلك اليوم أصبح «عادل» عدوًا لـ»ياسين»، هذا ما قرره «ياسين» بنفسه، فاتخذ صديق طفولته عدوًا له، وأخذ يكيد له المكائد؛ فبينما هم في أحد المحاضرات، كان «عادل» و«ياسين» يجلسان بالمدرج السفلي، بينما «سيلا» وصديقاتها تجلسن بالمدرج الذى يليه، وكان «عادل» يضع حقيبة اللوحات خاصته بجواره بينه وبين «ياسين».

في الوقت نفسه اتفق «ياسين» مع «مي» صديقة «سيلا» على أن تسرق هاتف «سيلا» وتعطيه إياه، حتى يضعه في حقيبة «عادل»؛ ليظهر للجميع بأن «عادل» هو من سرق هاتف «سيلا»؛ وبالتالي يسقط من نظرها للأبد بعد أن تراه سارقا حقيرا، وافقته «مي» على ذلك؛ لأنها كانت تعشق «عادل» وتغار من «سيلا» وحبها له، ولأن «عادل» كان يعاملها كأخت له ليس أكثر، أرادت أن تحظى هي بـ «عادل»، في حين يفوز «ياسين» بـ «سيلا»، وتمت المؤامرة الشيطانية.

اكتشفت «سيلا» اختفاء هاتفها وكان له عندها مكانة خاصة فهو هدية والدتها لها يوم نجاحها؛ فكانت تحبه وتعتز به فضلًا على إنه من أحدث الهواتف وأغلاها؛ فأخذت تبحث عنه هنا وهناك دون جدوى، ولاحظ الجميع بعد انتهاء المحاضرة أن هاتف «سيلا» قد اختفى بما فيهم «عادل»، فأخذ يبحث عنه معهم، في حين تظاهر كل من «ياسين» و«مي» بأنهما يبحثان، حتى قالت «مي»:

ـ انتظري يا «سيلا»، سوف أتصل على هاتفك، وندعو الله أن من سرقه لم يسعفه الوقت ويكون قد أغلقه.

بالفعل اتصلت فسمع الجميع صوت الهاتف يرن، اتجهوا بأبصارهم تلقاء مصدر الصوت في دهشة وكان «عادل» أولهم، فإذا بالصوت يخرج من حقيبة الألواح الخاصة بـ»عادل»، وهنا أسرع «ياسين» ليفتح الحقيبة متعمدًا إظهار الهاتف وهو يخرج منها أمام الجميع، ثم قال:في خبث ودهاء.

ـ أيعقل هذا؟ أأنت يا «عادل» من سرق الهاتف؟ كيف تجرأت على فعل ذلك الفعل الشنيع؟! إنها زميلتنا، لم أكن أتوقع أنك بهذه الحقارة، ومنذ هذه اللحظة أنت لم تعد صديقي، ولا تشرفني معرفتك ! كل هذا و«عادل» صامت في ذهول؛ فعقله عاجز عن استيعاب هذا الموقف حتى الآن. كيف لهاتف «سيلا» أن يأتي إلى حقيبته؟ ماذا ستقول عنه وكيف ترى عيناها صورته الآن؟ أهون عليه أن تنشق الأرض وتبتلعه حيًا؛ على أن يرى في عينيها نظرات الاتهام والاحتقار، أما «سيلا» فقد صعقت فور رؤيتها لهاتفها وهو يخرج من حقيبة عادل، لم تصدق بأن «عادل» فعلها حقًا.

نظرت إلى «ياسين» وخطابه الاستعراضي الذى قام به؛ فأدركت بأنه هو من قام بذلك الفعل الشنيع ليسقط عادل من نظرها، كان هذا احساسها وتحليل عقلها للموقف؛ فتصرفت بذكاء بالغ، قاطعته قائلةً:

ـ كفاك يا «ياسين» فـ»عادل» بريء لم يأخذ الهاتف، أنا التي وضعته بالخطأ في حقيبته عندما كانت بجوار حقيبتي في ورشة العملي، اعتقدت بأنني قد وضعتها في حقيبتي، لذلك عندما بحثت عنه في الحقيبة لم أجده، وعندما أخرجته أنت الآن من حقيبة «عادل» تذكرت

الموقف؛ فوجب علي الاعتذار من «عادل». عفوًا يا «عادل»، أعتذر لك عن كل كلمة سيئة سمعتها بسببي.

رد «عادل» في سعادة وقد صدق رواية «سيلا»، فهو سليم القلب والنية، لم يظن لحظة في أن من دبر له هذه المكيدة هو الشيطان.

ـ الحمد لله... لا يهم يا «سيلا»، المهم أنك قد وجدته.

.وهنا تغير وجها »ياسين» و«مي»، وأخذا ينظران لبعضهما في كمد وغيظ، بينما أخذت «سيلا» تبتسم وهي تعانق «عادل» بنظراتها العاشقة؛ فأنارت الظلمة التي خيمت على روحه في تلك اللحظات الحالكة.

انتهى اليوم بإفساد الملاك لمخطط الشياطين.

ولكن هل سيكُف الشيطان عن بث سمومه وتدبير مكائده؟

الفصل الثالث

عاشق ومعشوق

لم تتقبل «سيلا» فكرة أن يبتعد عنها «عادل» هكذا، فهي تعشقه بجنون، تراه فتى أحلامها، وحب عمرها، شاب صغير لكنه مكتمل الرجولة فهو شهم وقور دمث الخلق مكافح لا يعتمد على أبيه ولا أمه، يعول أسرته بكل عطاء وحب، ناجح ومتفوق في كليته، دائمًا هو الأول على دفعته لثلاث سنوات متتالية، موهوب في مجال الرسم والنحت، يعشق دراسته وينتظره مستقبل باهر؛ فهو مرشح بقوة ليكون معيدًا، كل هذا يجعل أية فتاة تتمناه زوجًا لها، وهذا ما قررته «سيلا».

بالرغم من أنها ابنة أحد أكبر رجال الأعمال، والذي هو في الأساس مهندس ديكور المهندس «أمجد العمراوي » ووالدتها «أشجان الجبالي» صحفية مشهورة وصاحبة جريدة مرموقة وسيدة مجتمع راقية، يقطنون في فيلا بالزمالك، ولديها أخت واحدة تصغرها بعامين هي «سما» طالبة بكلية الإعلام، وهي من أشارت على أختها بأن تصارحه بحبها، وألا تصمت فتضيع عليها الفرصة فماذا تنتظر؟ إن كانت تعشقه إلى هذا الحد فلم تصمت؟

اقتنعت «سيلا» برأي أختها الصغرى وقررت أن تبوح هي بحبها لـ»عادل»، ولكنها أرجأت الأمر إلى اليوم الأخير في امتحانات نهاية العام الدراسي، وانتظرت حتى أتت اللحظة الفارقة، وبعد أن انتهى الامتحان خرج «عادل» كعادته في هدوء وانصرف دون أن يحدث أية ضجة، بخلاف ما يفعله «ياسين» لجذب الانتباه إليه في كل لحظة، وحتى لا تشعر سيلا بخروجه فهي تجلس في أخر الغرفة وهو في الأمام، نهض بهدوء ليسلم كراسة إجابته، وينصرف، وأثناء مغادرته رمقها بنظرة عاشقة مودعة حزينة، وهي منكبة على كراستها لتنهي الامتحان بسرعة، فلم تشعر به عندما غادر، ولم تر تلك النظرة العاشقة الصامتة، ولما انتهت نظرت إليه فوجدت مقعده شاغرا؛ فأدركت بأنه غادر حتى لا يلتقي بها، أدركت بأنه يفر منها فرار المهاجر من وطنه رغمًا عنه؛ فقررت أن تذهب إليه بنفسها أن ترد الغائب إلى وطنه، أن تعيد الروح لجسدها، وأثناء مغادرتها استوقفها «ياسين» وكان هو الآخر يغادر

لجنته المجاورة للجنتها في نفس اللحظة، بل بالأحرى كان ينتظر خروجها حتى يخرج في نفس اللحظة، فنادها قائلا:مهلاً يا سيلا، لم هذه العجلة؟

ـ فالتفتت إليه بامتعاض قائلةً:

ـ ماذا هناك؟ عفواً «ياسين»، فأنا على عجلة من أمري نتحدث لاحقًا.

همت بالمغادرة ولكنه أمسك بيدها ليستوقفها قائلاً:

ـ لا يوجد لاحقًا... سأتحدث معك الآن فيما أريد أن أقوله كفاكِ فرارًا مني، لماذا تنفرين مني إلى هذا الحد؟ ألا ترين؟ انظري! كل الفتيات هنا يتمنين أن ترمقهن عيناي بنظرة واحدة مما ترمقك بها.

فجذبت يدها من يده على الفور، وبصوت يملأه الضيق والتأفف قالت:

ـ أووووف هنيئًا لك بفتياتك أما أنا فلا أريدك... لا أريدك مطلقًا، قلبي ملك لآخر أما أنت فلست لي، أنت مجرد زميل لي هنا ليس أكثر اتفقنا ! هيا أتمنى لك التوفيق.

فرد في عصبية وقد أغضبه هذا الرفض منها قائلاً:

ـ لكن أنا لا أريد أحدًا غيركِ فأنتِ لي.

فصاحت عليه في غضب:

ـ ابتعد عني وليكن في علمك أنت لست لي مهما حدث، منذ هذه اللحظة حتى الزمالة لن تكون بيننا، وإياك والاقتراب مني مرة أخرى !

انصرفت مسرعة وهي في قمة الغضب، بينما وقف «ياسين» عاقدًا ذراعيه أمامه متمتمًا:

ـ لن يأخذك مني أي مخلوق ورغمًا عنك ستكونين لي، لن أترك عادل هذا يهنأ بحبك وسوف ترين ماذا سأفعل !

أسرعت سيلا تستقل سيارتها وتنطلق كالبرق، وقد عزمت بعد هذا الموقف السخيف على أن تكون لـ»عادل» مهما كلفها الأمر؛ فذهبت إليه في منزله، وطرقت الباب ففتح لها وقد كان سبقها بقليل جدًا إلى منزله، فاندهش فور رؤيته لها ثم تمتم قائلاً:

ـ سيسسسسس «سيلا»! ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ وكيف عرفت عنواني؟

ابتسمت وهى تزيح يديه من على الباب قائلةً:

ـ أهكذا تستقبل ضيوفك يا «عادل»...ألن تسمح لي بالدخول؟

ابتعد معتذرا...

ـ عفوًا تفضلي ولكن هل حدث شيء؟ أعني... أقصد...

فوضعت «سيلا» يدها على فمه لتوقف تساؤلاته مجيبة:

ـ أتيت إلى هنا لأعترف لك بحبي، أنا أحبك يا «عادل»، أحبك جدًا جدًا، وأعلم بأنك تبادلني نفس الشعور، لا أحتاج أن أسمعها منك بآذاني فلقد سمعتها وشعرت بها بقلبي، قرأتها في عينيك، تأكدت منها بفرارك مني هكذا، أما عنوانك؛ فقد عرفته منذ أن تعرفت عليك منذ سنتين أو يزيد، تتبعتك وعرفت عنك كل شيء، وهذا ما جعلني أصر على أن تكون لي هل فهمت؟

كل هذا الحديث نزل على مسامع «عادل» كالصاعقة، لم يصدق ما تراه عيناه هذه «سيلا» حقًا؟ هل اعترفت له بحبها؟

تمالك نفسه، وحاول أن ينكر حبه لها، حاول أن يبعدها عنه، فرد في ارتباك قائلاً:

ـ عفواً يا «سيلا»، ولكني لا أصلح لكِ، كما أنني لا أفكر بالحب مطلقًا،عفوًا.

نظرت في عينيه وقد اغرورقت عيناها بالدموع، كسرتها تلك الكلمات برغم أنها تعلم علم اليقين بأنها ليست صادقة، وبأن عادل يحاول أن يبعدها عنه نظرًا لظروفه القاسية ومستواه الفقير، فلم تنطق بحرف بل عاتبته بتلك الدموع التي اخترقت عمق قلبه، فذبحته وكأنها خنجر مسموم، فلم يتمالك نفسه وأسرع يكفكف دموعها قائلاً:

ـ أرجوك لا تبك فدموعك تلك تمزق قلبي، قلبي الذي يعشقك حد الجنون... حد الموت، قلبي الذي لم ولن يكون لغيرك مهما مر الزمان ولآخر يوم بعمري ولكن مجبر أنا على الفرار منك... مجبر أنا على الموت بالبعد عنك؛ فحياتي قاسية مؤلمة، وواقعي ظالم لا يرحمني، لا أريدك أن تتألمي معي...لا أريد أن أسحبك إلى واقعي هذا... لا أريد لك سوى السعادة فقط، حتى لو كانت سعادتك مع غيري وبعيدًا عني...

دمعت عيناه هو الآخر وانهالت الدموع تتسابق؛ فأمسكت «سيلا» بيديه في عشق، ثم نظرت في عمق عينيه وبابتسامة جميلة مثلها وبصوت هادئ رقيق قالت:

ـ يكفيني من الدنيا حبك لي يا عادل، أعدك بأنني لن أتركك مهما حدث، كما أنه ينتظرك مستقبل مشرق، فبعد سنة واحدة سوف تكون معيدًا بالكلية، وقتها سيكون ارتباطنا سهلاً، فأبي لن يرفض معيدًا بالجامعة، وهذا ما يجب علينا أن نفكر به، أن تجتاز العام بتفوق.

سمعت أمه من الداخل هذا الحوار منذ بدايته، لكنها لم تتدخل إلا الآن؛ فخرجت ثم قالت:

ـ أحسنت يا بنيتي.

ثم عانقت «عادل» قائلةً:

- ابنى حبيبي الغالي ورفيقي ورجلي وسندي في الحياة، تستحق السعادة يا بني، فلا تضيعها من يديك لأجلنا، ثم إنك لن تتركنا فنحن معلقون برقبتك طول العمر، ولكن إن لنفسك عليك حقا،وما الذى يمنع أن تنظر لنفسك قليلاً؟ فرحت «سيلا» بهذه المباركة كما فرح بها «عادل»، ومر نصف العام و«عادل» و«سيلا» يقتربان يومًا بعد يوم، حتى لاحظ كل أصدقائهما هذه العلاقة، وعلم بها «ياسين» الذي استشاط غيظًا، والذي قرر أن ينتقم من «عادل»، حضره شيطانه فكاد لـ»عادل» مكيدة قضت على مستقبله تمامًا.

تُرى ماذا فعل؟

الفصل الرابع

الانتقام المدمر

علم «ياسين» بأن «سيلا» قد فضلت عليه «عادل»، ذلك الفقير المعدم، الذي يرى نفسه أفضل منه شكلًا وموضوعًا؛ فقاس نفسه بمقياس إبليس، حينما حقد على آدم، وقال أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين؛ ففكر كيف ينتقم من «عادل»؛ فبرغم تحذيره بعدم الاقتراب من «سيلا»؛ وجده الآن يدًا بيد معها في كل مكان وفي كل وقت، يستمتع بقربها بدلاً منه، لكن هيهات... فلن يهنأ ذلك الفقير بالسعادة التي يتمناها هو.

قبل انتهاء العام الأخير من الكلية، وبينما كل من «سيلا» و«عادل» ينتظران بفارغ الصبر انتهاء العام، فلقد نجح عادل كعادته بامتياز، ولم يتبق على حلمه كمعيد سوى شهرين فقط، ينتظرهما كالذي ينتظر هطول المطر ليروي ظمأه بعد جفاف دام طويلاً، لم

يكن يعلم بأن الشيطان يكيد له ليسقطه ويقضي على أمله وحياته، ففي إحدى الأيام وبينما «عادل» و«سيلا» في المحاضرة، أتى «ياسين» وجلس بجوار «عادل» وقد كان قاطعه من قبل، ثم قال:

ـ عادل صديقي العزيز، مبارك عليك «سيلا»، ومن الآن هي أختي طالما اختارتك انت وانت اخي وصديق طفولتي، أريد أن نعود كسابق عهدنا ونترك خلافاتنا وراءنا ما رأيك؟

فرح «عادل» بهذه المبادرة، فقد كان حزينًا على مقاطعته لياسين، فهو يراه صديق طفولته وجاره فرد فرحًا:

ـ أجل يا «ياسين»، فنحن أصدقاء وأنت أخي وصديقي.

ثم عانقه بقلب ملائكي نقي، بينما الشيطان يعانقه بخبث وبنفس شريرة تضمر الأذى، ثم قال:

ـ إذن.. فأنا سوف أحتفل بك وبتصالحنا الليلة بعد أن تنهي عملك في الورشة.

رد عادل بسعادة ساذجة:

ـ اتفقنا...

أما «سيلا» فلم تكن تطمئن لهذا الحوار، ولكنها صمتت لعل «ياسين» يكون قد عاد لرشده، ولعل تلك المخاوف التي تملأ قلبها لا أساس لها، وبالفعل أنهى «عادل» عمله بالورشة في حوالى الثانية عشر مساءً، ثم ذهب إلى المقهى فوجد «ياسين» بانتظاره، رحب به وجلسا يتسامران، ويتذكران طفولتهما ولعبهما سويًا والأيام

الخوالي، طلب «ياسين» لـ «عادل» مشروب السحلب فـ»عادل» يحبه، بينما الكوب موضوع أمام «عادل» على المنضدة؛ قام «ياسين» بحركة مفاجئة وكأنها غير متعمدة؛ فلطم الكوب بيده؛ فانسكب بالكامل على سترة «عادل»؛ فهب «عادل» واقفًا وهو ينتفض من شدة الحرارة، التي اخترقت نسيج سترته فأحرقت جسده وهو يتألم، بينما «ياسين» في نفسه سعيدًا بما حدث، لكنه هب هو الآخر واقفًا متظاهرًا بقلقه على «عادل»، وكأنه لم يكن يتعمد فعل ذلك قائلاً:

ـ عفواً يا عادل.

لقد حدث ذلك رغمًا عني،هيا اخلع سترتك هذه لنسعفك على الفور، ثم نادى على عامل المقهى يا «سالم»،تعال... أسرع... خذ، ناوله سترة عادل.

ـ نظف هذه فورًا وأحضر لي ثلج وفوطة صغيرة فورًا هيا.

فعل «سالم» ما طلبه منه «ياسين» أما «عادل» فكان يتألم من الالتهاب الذي أحدثه السحلب الساخن على «ياسين» جسده، فقام بوضع الثلج وأخذ يعتذر من عادل كثيرًا، فرد عادل في ود قائلاً:

ـ لا عليك يا «ياسين»، قدر الله وما شاء فعل، لا تلم نفسك يا صديقي، الحمد لله بسيطة، مجرد التهابات.

بعد حوالي ربع ساعة عاد «سالم» بسترة «عادل» بعد أن نظفها، فأخذها عادل وشكره ثم قال:

ـ هيا يا «ياسين»، لقد تأخر الوقت.

فأجابه «ياسين» قائلاً:

ـ قليلاً حتى

اذهب أنت يا «عادل»، أنا سوف أجلس أنهى قهوتي ثم سأنصرف، هيا أذهب أنت حتى لا تتأخر على والدتك فرد «عادل»:

ـ حسناً أراك على خير يا صديقي.

جلس «ياسين» يحتسي فنجان قهوته، وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ماكرة، ثم انصرف إلى حال سبيله، وأثناء عودة «عادل» كعادته كل يوم، يمر ليلاً بكمين شرطة في الطريق، وكالعادة استوقف الضابط عادل قائلاً:

ـ من أين تأتي؟ وإلى أين تذهب؟

فأجابه عادل وقد اعتاد على مثل هذه الأسئلة الروتينية: آتي من عملي في ورشة الحاج صلاح وأذهب إلى منزلي في بولاق.

فابتسم الضابط ابتسامة باهتة ثم قال:

ـ ها وماذا تتعاطى؟ هيروين أم حشيش أم غيره؟

فانزعج عادل من هذه التلميحات الساخرة، ثم رد قائلاً:

ـ عفوا يا حضرة الضابط، أنا طالب بكلية الفنون الجميلة ولا أتعاطى مثل هذه الأشياء.

فرد الضابط في سخرية حسناً سوف نرى، ثم نادى:

ـ يا سيد، يا محمود، فتش البشمهندس.

فأخذ المجندان ينفذان ما طلب منهما بتفتيش «عادل»، حتى أخرجا كل ما لديه من حافظة نقود ومتعلقات الشخصية، ثم أخرجا من جيب سترته كيسًا صغيرًا في حجم كف اليد به مسحوق أبيض، ومبلغ ألف جنيه؛ ففوجئ «عادل» بهذه المحتويات التي تخرج من جيبه، فهو لم يكن يعلم عنها شيئًا قبل اللحظة، فأخذهما الضابط، وأخذ يقلبهما في يديه وهو ينظر إلى عادل بنظرات اتهام صريحة، وبلكنته الساخرة قال:

ـ لا تتعاطى شيئًا من هذه الأشياء أليس كذلك؟ أنت طالب بالكلية أليس كذلك؟ فعلاً واضح بأنك لا تتعاطى هذه الأشياء بل تتاجر فيها... تبيعها إذاً لزملائك بالجامعة؟ وهذا عقوبته أشد من التعاطي !أنا لا علم لي بهذه الأشياء فأنا بريء

انهار عادل يصرخ ويصيح...لا أدري كيف أتت إلى جيبي؟ أرجوك صدقني انا بريء بريء ! أقسم بالله ما فعلت ذلك أبدًا... وأقسم بأن هذه الأشياء لا تخصني أرجوك لا تضيع مستقبلي، لا تقتل أمي وإخوتي الأبرياء، لا تقتل...

ثم صمت ودموعه أجابت عنه:

ـ لا تقتل حبي.

فنهره الضابط قائلاً:

ـ اصمت أيها المتهم، لا أريد أن أسمع لك صوتًا، قل ما تريده في التحقيقات أمام النيابة.

ثم أمر مجنديه بالتحفظ عليه للصباح وتحويله إلى النيابة؛ فصمت عادل صمت الميت الذى يساق إلى مثواه الأخير.

تُرى ماذا سيحدث؟

الفصل الخامس

وهات الأمل

بعد أن قام الضابط باصطحاب «عادل» إلى القسم، ليُعرض في صباح اليوم التالي على النيابة، لم يعد «عادل» بالطبع كعادته إلى منزله كانت أمه في انتظاره، فظلت تتصل عليه فلقد حدثها قلبها بأن فلذة كبدها قد أصابه مكروه، فلم يجبها فشعرت بالخوف وخرجت لتبحث عنه، أخذت تسأل عنه كل من يقابلها، حتى علمت من أحد أبناء الحي، صادف مروره بالكمين وشاهد ما حدث لـ «عادل»؛ فأخبرها بالأمر. أسرعت الأم تطوي الأرض مهرولة، لترى ماذا ألم بصغيرها؟ ولماذا أخذه الضابط؟ فابنها مثال الأخلاق والشرف، والرجولة، فأدلفت في لهفة وبنفس شبه مقطوع على الضابط في مكتبه، مستفسرة منه.

ـ ماذا حدث يا بيه؟؟؟ لماذا قبضت على ابني؟؟ما الذي اقترفه صغيري؟

فقاطعها الضابط بنبرة حادة متعالية وبصوت صاخب:

ـ كفاكِ نحيبا يا امرأة،فلقد آلمت رأسي بضجيجك التافه هذا، ابنك مجرم، تاجر مخدرات، وسوف ينال ما يستحق من جزاء، هيا اخرجي من هنا قبل أن ألقي بكِ أنتِ الأخرى إلى الحبس.

خرجت الأم وهي في ذهول تام، لم تأبه بالإهانة التي تعرضت لها، هي تحاول استيعاب ما أخبرها به ذلك المتعالي الفظ، فتمتمت في ذهول:

ـ تاجر مخدرات... عاادل...ابني أنا!! كيف ذلك... هل يمكن للملاك أن يتلوث؟ مستحيل!

هل، وهل، وهل؟ ظلت تتبادر إلى ذهنها وهي في حالة صدمة كاملة، ثم حاولت أن تستجمع نفسها وتلملم شتات روحها؛ فأسرعت إلى أحد أمناء الشرطة بالقسم، فأعطته كل ما بحوزتها من مال وأقسمت عليه باكية أن يساعدها في رؤية صغيرها ولو لخمس دقائق فقط، وافق الأمين وتم اللقاء من خلف قضبان الزنزانة.

فنادته أمه باكية «عادل»:

ـ حبيبي ماذا حدث لك يا صغيري؟

لكن عادل كان جامدًا كأنه تمثال من حديد بدون روح، نظر إلى أمه بعينين دامعتين مودعتين، لم ينطق بحرف، فقط أخذ يحدق في وجه أمه وكأنه يحفظ ملامحها ليحبسها بداخله لتنير القادم من ظلمته، التي لن تكون لها نهاية، وأمه تبكى منهارة من خلف القضبان وتعانقه بعينيها، ثم قالت:

ـ أعلم بأنك مظلوم يا ولدي، أعلم بأنك شريف ونظيف، ويعلم الله أيضاً، فاطمئن لن يضيعنا الله، سوف أذهب الآن لأحضر لك محاميًا وسوف تخرج من هنا، لا تقلق لن أتركك يا صغيري !

هنا قاطعها الأمين:

ـ يكفى هذا يا أمي، هيا لا تتسببي لي في أذى.

انصرفت مودعة ابنها الذي ودعها هو الآخر بنظراته، فهو يعلم بأن هذه هي المرة الأخيرة التي سوف يرى فيها أمه، فهو لم يعد لديه أدنى أمل في معانقة أمه بعد الآن، صمت وجلس يتذكر ما حدث ليلة أمس، حتى تذكر حادثة «السحلب»، فانتفض جسده وكأن عقربًا قد لدغه، فلقد تأكد الآن من أن من كاد له هذه المكيدة هو الشيطان «ياسين»، كيف أغفل هذه الحقيقة؟

فهب واقفًا وهو يصيح:

ـ أريد الضابط، أريد أن أخبره بالحقيقة أنا بريء.

نهره الحارس قائلاً:

ـ اصمت يا متهم! قل ما تريد غداً في التحقيقات، والآن الزم الصمت والهدوء يكن خيرًا لك.

فخر جالسًا على الأرض واضعًا يديه فوق رأسه، وقد أيقن بأن أمله قد مات فمن سيصدق حكايته؟ صمت وتحدثت دموعه حتى الصباح...

تُرى ماذا سيحدث؟

الفصل السادس

وداع يا حب

في صباح اليوم التالي أسرعت أم «عادل» إلى الكلية، وانتظرت أمامها حتى رأت «سيلا» تنزل من سيارتها، فأسرعت تجري عليها وهى تبكي بشدة ثم قالت:

ـ «سيلا « ابنتي... أغيثيني، أدركيني يا بنيتي !

فردت في فزع قائلة:

ـ ما بك يا أمي؟ أخبريني على الفور أرجوكِ؟

فأجابتها:

ـ «عادل»... «عادل» يا «سيلا «!

ردت في فزع:

ـ ما به عادل يا أمي.. هل حدث له مكروه؟

فأخبرتها بالقصة كاملة ثم أردفت:

ـ أنا لا أعرف من أين آتي بمحامٍ؟

فطمأنتها «سيلا « قائلةً:

ـ اطمئني يا أمي، فعادل بريء وأنا سوف أتصل بمحامي شركة أبي، ليأتي معنا على الفور.

أسرعت «سيلا «وأم «عادل» إلى النيابة، بعد أن اتصلت بالمحامي الذي أتى هو الآخر إلى النيابة ليحضر مع عادل.

أثناء العرض على النيابة، سأل وكيل النيابة عادل عن ملابسات القضية، وكان المحامي حاضرًا معه؛ فحكى عادل كل القصة حتى لحظة القبض عليه، ولكن وكيل النيابة بدا على وجهه عدم الارتياح والتصديق لأقوال عادل، عقب انتهاء التحقيق، أمر بحبس عادل أربعة أيام على ذمة التحقيق ويراعى له التجديد في الميعاد.

أدرك عادل هنا بأن حياته قد انتهت بالفعل؛ فهذا القرار معناه بأنه مذنب وبأنه سوف يُحال للمحكمة ويُسجن، خرج «عادل» والحديد في يديه، خلفه المحامي؛ وعندما سقطت عين أمه عليه عانقته بشدة وهي تبكي؛ فلقد أخبرها قلبها بأن هذه المرة الأخيرة، التي سترى فيها ابنها.

أمسكت «سيلا» بيديه وهي تبكي قائلة:

ـ «عادل» حبيبي... أعلم بأنك بريء... أعدك لن أتركك أبدًا... لن أتخلى عنك مهما حدث... سوف انتظرك إلى آخر العمر، لن أكون لسواك وهذا عهد

علي...أفلت «عادل» يديه من يديها، بصوت حزين مثقل بخيبةِ الأمل وبعيون دامعة منكسرة مودعة قال:

ـ لم يعد هناك شخص يُدعى «عادل»... «عادل» قد مات، ولا يجوز أن تقطعي على نفسك عهدًا لميت... اذهبي لحياتك، عيشي، اعشقي،انسيني !

فلم يعد هناك «عادل» بعد الآن...

غادر مع الحراس إلى زنزانته مخلفًا وراءه قلبا تهشم بكل قسوة، لكن مهما كانت بشاعة وقسوة كلماته لـ «سيلا»، فهي أبدًا لن تكون ببشاعة وقسوة الظلم الذى حطم قلبه وانتزع روحه.

مشى «عادل» بخطوات تائهة إلى المجهول، استسلم تمامًا لنهايته المحتومة؛ فلم تعد لديه حياة يخاف فقدانها؛ فقد كل شيء بالفعل.

أما «سيلا» فلقد انهارت في أحضان أم «عادل»، عانقتها في حنان علها تمتص بعض الوجع الذي أصاب قلب الصغيرة، لكن دون جدوى؛ فحجم الألم والوجع الذي اخترق قلب «سيلا» لا يمكن تخيله.

ذهبت «سيلا» إلى منزلها فقابلها والدها بنبرة حاسمة غاضبة، وقد علم من المحامي ما ألَمَ بـ «عادل» قائلاً:

ـ من «عادل» هذا الذي سخرت محامي الشركة لخدمته دون إذن مني؟ أخبريني يا «سيلا» !؟

نظرت إليه بعيني منتفختين من شدة البكاء قائلة:

ـ «عادل» زميلي بالكلية وحبيبي، ولن أعشق أو أتزوج غيره حتى آخر عمري.

غضب والدها من جرأتها هذه فنهرها بشدة قائلاً:

ـ كيف تجرئين على هذا الحديث؟ أهكذا ربيتك أنا؟ ثم من عادل هذا؟! منحرف وبائع مخدرات، هل هذا الذي سيكون صهري وزوج ابنتي؟ محال ولو انطبقت السماء على الأرض، إنه ولد انتهازي مجرم استطاع أن يخدعك، ليصل إلى أموالي ونفوذي، ولكن لن أسمح بذلك مطلقًا، هل فهمت؟ لن أسمح !

ردت «سيلا» في سخرية:

ـ أموالك ونفوذك هذا ما تخشى عليه يا أبي، عفوًا فـ «عادل» أغنى منك ملايين المرات وأقوى من نفوذك، «عادل» غني النفس يا أبي، اطمئن على مالك ونفوذك فالمجرم الانتهازي هو الذي رفضها، هو الذي رفضني يا أبي ورفض حبي، لعل سريرتك تكون قد هدأت الآن؟

تركته وأسرعت إلى غرفتها وهي في كامل انهيارها، فأغلقت باب غرفتها وارتمت على فراشها وأخذت تبكي بحرقة خرجت من بين أعماق قلبها المحطم وهى تُتمتم:

ـ مستحيل.. مستحيل.. لن أتركك.. لن أتركك ! أما «عادل» فقد أصبح وكأنه جثة بدون روح، امتنع عن الطعام والشراب، وظل صامتًا لا يتحدث ولا يبكي، ظل الحال هكذا حتى يوم المحاكمة، وقد حكمت عليه بعشرِ سنوات مع الشغل؛ فانهارت أمه تماما، لم تتحمل الصدمة وبعد أيام تُوفت على الفور، تاركة إخوة «عادل» الصغار بمفردهم في هذه الحياة القاسية، أما «عادل» فقد تلقى خبر وفاه أمه بصدمة، أقعدته عن الحركة لفترة مكث على أثرها في مستشفى السجن ما يقرب من الستة أشهر، حتى جاء خبر فصله من الجامعة ليكمل على ما بقى منه.

انهارت سيلا عصبيًا وتم إيداعها بمستشفى نفسي مكثت فيها حوالي الشهر، حتى استعادت بعض عافيتها، عانى الجميع الألم والحسرة والظلم، والذي نال السعادة كان هو الشيطان «ياسين» والذي لم يكتف بمرض «عادل» في المستشفى؛ فذهب لزيارته وجلس بجواره، وبنظرات شامتة متشفية خبيثة قال:

ـ أرأيت يا «عادل» نتيجة عنادك واستخفافك بتحذيري إياك؟ كيف حالك الآن؟

ضحك ضحكة شيطانية وتابع:

ـ قلت لك بأن «سيلا « ملك لي ولم تصدق؟ أخرق أنت؟ كيف تساوي نفسك بي؟ ها.. أرأيت؟ لقد

دبرت لك هذه الجريمة، وكعادتك الحمقى صدقت بأني سوف أنسى ما فعلته، ونعود أصدقاء في الحقيقة لم أصادف في حياتي أحمقا مثلك؛ لنواصل سلسلة الاعترافات، عندما سكبت على سترتك «السحلب» وأخذ ها «سالم»، كنت قد اتفقت معه على أن يضع كيس «الهيروين» والألف جنيه في سترتك، ثم أخذتها وذهبت.

ضحك ضحكات شيطانية، كان سعيدًا بفوزه على «عادل»، ثم تابع:

ـ بالطبع سوف تتساءل من أين أتيت أنا بثمن «الهيروين» والألف جنيه؟ سوف أجيبك لأزيح عنك الفضول؛ أخذت ثلاثة آلاف جنيه من أمي وأبي، وهم أيضًا حقي مثلك، فلقد أقنعتهما بأن والدة زميل لي مريضة وفى حالة خطيرة ونحن نقوم بجمع التبرعات لها، لإجراء عملية جراحية على وجه السرعة؛ فقامت أمي وأعطتني الألف جنيه، بينما أبى كان أكرم منها فأعطاني آلفين، ها أنت شرفت هنا بفضلهما...

تابع ضحكاته وكأنه انتصر على عدو اغتصب أرضه، فنظر إليه «عادل» في احتقار شديد ثم بصوت منهك قال:

ـ أحسنت يا ياسين.. لكن فلتنتظر هذه ليست النهاية.

فضحك قائلاً:

ـ الذبيحة تكابر وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة.

ثم تركه وغادر مستهزئًا.

ـ في انتظارك بعد عشر سنوات يا «عادل».

تُرى ماذا سيحدث؟

الفصل السابع

الخطة الجهنمية

بعد أن ضمن «ياسين» أن غريمه قد أزيح عن طريقه للأبد، عاود التودد إلى «سيلا» أملاً في أن تقبله هذه المرة، فلم يعد هناك «عادل» بعد الآن، فعادل قد انتهى للأبد بالنسبة إلى الجميع وبالنسبة إلى نفسه أيضاً، فما تعرض له من ظلم كافٍ لأن يحوله إلى عدم.

لا إلى بقايا إنسان حتى، وكانت «سيلا» لا تذهب إلى الكلية بعد حادثة «عادل»، حتى اقترب موعد الامتحان النهائي لآخر سنة لها، والتي كانت من المفترض أن تكون أسعد سنوات عمرها، فـ»عادل» كان سيتخرج وبامتياز ليصبح معيدًا، وليتحقق حلمهما الوردي الذي أحاله حقد «ياسين» إلى كابوس مرعب؛ فذهبت إلى الامتحان وهي شاحبة الوجه، مطفأة الروح فاقدة الحياة، وهنا

قابلها «ياسين» بابتسامته عريضة الخبيثة قائلاً:

ـ مرحبا «سيلا» كيف حالك؟ لقد حزنت جدًا على ما ألمَ بك وبـ»عادل» صديقي، ولكنه للأسف خان ثقتنا به ولا يستحق الحزن من أجله.

فنظرت إليه بنظرات كلها اتهامٍ واحتقار، ولم تعقب وهمت بالانصراف من أمامه،فاستوقفها قائلاً في حنان:

ـ انتظري يا «سيلا»، أرجوكِ امنحيني الفرصة، لأشرح لكِ نفسي فأنا أحبك، لا بل أعشقك... أعشقك حد الجنون والموت أرجوكِ افتحي لي قلبكِ، فلن تجدي أحدا في هذا العالم يعشقك بمقدار ذرة من عشقي لكِ.

ردت بلامبالاة وكأنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما تفوه به قبل قليل قائلةً:

ـ ما الذي أتى بكِ إلى عالمي؟ أشعر كأنك ابتلاء أختبر به؟ أذهب يا «ياسين» فقلبي لن يكون لكِ ولا لغيركَ، قلبي قد مات... قتلته بيديكَ ودفنته مع عادل صديق عمرك، أذهب إلى حال سبيلك فطريقينا لن يلتقي أبدًا.

تركته وانصرفت وقد أشتعل غيظًا وغضبًا، فأخذ يصرخ ويركل ما يقابله بقدمه، وهو في حالة هياج شديد، أخذ يصرخ قائلاً:

ـ ماذا أفعل معكِ يا «سيلا»؟؟ كيف أجبرك على عشقي؟ لماذا...لماذا؟

أخذ يصرخ كالمجنون ثم توقف وقال:

ـ أقسم لن أتركك يا «سيلا»، وسوف ترين، سوف تأتينني راكعة بل زاحفة على يديكِ وقدميكِ، وسوف ترين... انتظري !

قرر أن يستحوذ على كل شيء تمتلكه «سيلا» أبوها، أمها وأختها وأموالها، كل شيء سوف يكون ملكه، وسوف تكون بيده كل الخيوط التي ستلف حول عنق «سيلا» والتي ستركعها ذليلة أمامه، وقرر وضع الخطة التي سيعمل عليها جاهدًا على تنفيذها؛ تعرف على «سما» أخت «سيلا»، وأخذ يذهب إليها في كليتها كل يوم وينتظرها، ثم يتودد إليها بكلمات الغزل والعشق، ثم حصل على رقم هاتفها من إحدى صديقاتها وأخذ يحاصرها باتصالاته، ويسمعها أعذب الكلمات وأرقها، حتى استطاع أن يخترق قلب «سما»؛ لن يبذل جهدًا في الدخول إلى قلب فتاة متهورة، تعشق كلام الحب والغزل، فظل يطاردها بكلماته، حتى أوقعها في شباكه؛ فعشقته.

أخذا يتواعدان كثيرًا، كل هذا و«سيلا» لا تعلم شيئًا عن أختها، التي أصبحت فريسة للشيطان، حتى تخرجت «سيلا» ولم تستطع أن تقيم في القاهرة؛ فطلبت من والدها أن يرسلها إلى أمريكا لتكمل دراستها هناك، لتحصل على الماجستير والدكتوراه، وأيضًا تدير فرع شركته بأمريكا؛ فوافق.

سافرت بالفعل مخلفة وراءها ذكريات لن تموت، ولن تنسى مهما حاولت تناسيها، وبعد أن سافرت انتهز «ياسين» عشق «سما» له، وطلب منها أن تزكيه عند والدها ليعمل معه في شركاته، وبالفعل تم ما كان يرجوه؛ فوالد سما يحبها ويدللها كثيرًا، ولا يرفض لها أمرًا مهما كان، فقام بتعيين «ياسين» في شركته وبراتب كبير أخذ «ياسين» يتقرب من الوالد بمعسول الكلام، وحلاوة اللسان، ونعومة الأفاعي التي تخفي السم القاتل خلف ابتسامته.

مرت الأيام وأصبح «ياسين» مقربًا من والد «سيلا»، حتى طلب منه يد «سما»؛ فوافق دون اعتراض، برغم أن أسرة «ياسين» ليست على المستوى الذي يليق بهم، ولكنه وافق على أن يعيش «ياسين» مع «سما» في فيلا والدها، وتم الزواج بالفعل و«سيلا» بعيدة في أمريكا قد عزلت نفسها عن الجميع، ولكنها فوجئت بزواج أختها السريع، وكانت صدمتها أكبر حينما علمت من هو الزوج.

تجمدت في مكانها حينما نظرت إلى صور العرس التي أرسلتها «سما» إليها فور وقوع بصرها على صورة «ياسين»؛ فانتفضت مذعورة، وأخذت تصرخ:

ـ شيطان... لا أصدق !

ماذا سيحدث؟

الفصل الثامن

الخلاص

علمت «سيلا» بأن «ياسين» تزوج من «سما»؛ قررت أن تعود إلى القاهرة، لتنقذ أختها من براثن ذلك الشيطان ولكن كيف؟.. كيف ستخبرها بحقيقته البشعة؟ وهل ستتقبل سما هذه الحقيقة؟ أم أن حبها لـ»ياسين» سوف يعمي عينيها وقلبها؟ كل هذه التساؤلات دارت بمخيلة «سيلا»، ولكنها اتخذت القرار بالعودة، على أية حال لن تترك أختها لـ»ياسين» وهى تعلم بأنها مجرد سلمه في مخطط الشيطان، ليصل إليها في النهاية حتى ولو على جثث أقرب الناس إليها.

نعود إلى عادل وإلى ذلك اليوم الذي زاره فيه ياسين ليتشفى فيه، ففي ذلك اليوم وبعد أن غادر ياسين، كان بجوار فراش عادل

في المستشفى فراش آخر لمريض آخر قدمه مكسورة وموضعه بالجبس، كان هذا المريض هو «السيد»، هذا اسمه... وكان «السيد» قد سمع كل الحوار الذي دار بين «ياسين» و«عادل» بينما ظنه «ياسين» نائمًا، وبعد أن غادر «ياسين» نادى «السيد» على «عادل» بصوت خافت قائلاً:

ـ أنت أيها الشاب الصغير !

فنظر إليه عادل وكان مثقلاً مما سمعه وعاناه مع «ياسين» فقال بصوت متقطع:

ـ ماذا هناك يا عم؟.

فأجابه وكان «السيد» رجلا خمسينيا:

ـ لقد سمعت اعترافات ذلك الحقير، فأنت بالفعل بريء يا بني.

رد «عادل» بابتسامة مكسورة يائسة:

ـ وبماذا تفيد براءتي الآن يا عم؟ كل شيء ضدي، الظروف الحياة والناس.

قائلاً:

ـ اسمع يا ولدي، لقد قررت أن أساعدك ولكن يجب عليك أن تساعد نفسك أولاً.يا عم كيف؟!

رد «السيد» قائلاً:

ـ يجب أولاً أن تُشفى ولكن لا تظهر لأي أحد بأنك قد شفيت.

فعلق «عادل»:

ـ لماذا؟

قاطعه «السيد».

ـ يا ولدى افهم.. أنا سوف أقوم بتهريبك إلى خارج البلاد، ولكن يجب ألا يلاحظ أحد شيئاً، و إلا سوف نعاقب عقاباً شديداً.

أجابه «عادل».

ـ حسنًا ولكن كيف؟

فرد «السيد»:

ـ أنا سمسار سفر أقوم بتسفير الشباب هجرة غير شرعية، وكلٌ ونصيبه، من ينجو ويصل فقد فاز، ومن يغرق فهذا أجله ولذلك أنا هنا، لقد تم القبض علي في قضية هجرة غير شرعية، وغرقت السفينة بما عليها من ركاب، ولكنها لم تكن جريمتي؛ فصاحب السفينة هو الذي كان جشعًا، زاد حمولة السفينة؛ فغرقت... سوف أتصل بشريكي لأحدثه عنك وهو سوف يتكفل بكل شيء حتى تصل إلى «إيطاليا» سالمًا، فسوف أقوم بتأمينك كابني.

شكره «عادل» ثم سأله:

ـ ولماذا تفعل هذا معي؟ فأنا لن أستطيع أن أدفع لك المقابل.

ابتسم السيد ورد:

ـ يا بني، الدنيا مازالت بخير، وكما يوجد أشرار، لم تخل أيضًا من الأخيار، وما يدريك لعلي أكون دعوة أمكَ التي ناجت بها الله ليساعدك في محنتك.

بكى «عادل» بشدة فور سماع كلمة «أمك»، ثم تمالك نفسه وحمد الله ثم قال «للسيد»:

ـ ولكني لن أستطيع أن أذهب إلى أي مكان بدون إخوتي الثلاث فهم صغار، ولا يوجد لهم أحد غيري بالحياة، هل يمكنني أن أطمع في أن يكونوا بصحبتي؟

فرد «السيد»:

ـ ولكن هكذا سوف يصبح الأمر أكثر تعقيدًا يا «عادل»، ولكن لا بأس سوف نجازف والله معنا...

وبعد مرور شهرين... استعاد «عادل» عافيته، ونفذ خطة عم «السيد» حتى جاءت اللحظة الحاسمة، وأتى يوم الخلاص وبعد منتصف الليل أتى شريك «السيد»، ليساعد «عادل» على الهرب، وكان قد ذهب إلى منزل «عادل» وأخذ إخوته الثلاث استعدادًا للسفر، وبالفعل نجح «عادل» في الهرب من المستشفى، وتم تهريبه في براد للحوم المجمدة هو وأخوته إلى ميناء الإسكندرية، ومن هناك تم تهريبه إلى السفينة التي سوف تنقله إلى «إيطاليا».

اجتمع «عادل» بإخوته وكأنه يحلم، فهو لم يكن يتوقع رؤيتهم مرة أخرى إلا بعد سنوات طوال، ولكن الله أراد ولا راد لقضائه، مكث في باطن السفينة هو وإخوته الثلاث، الذين تشبثوا به فهم لم يعد لهم غيره، كانوا خائفين للغاية؛ فأحاطهم بذراعيه ليطمئنهم وهو يقول في نفسه:

ـ سامحوني... فأنا اضطررت أن أخاطر بحياتكم أيضًا، لم أكن أستطيع تركككم للمجهول، ولكنني كلي يقين بأن الله معنا، فكما كانت تقول أمي دائمًا إن الله لن يضيعنا.

ثم تذكر «سيلا» وحلمه الذي اغتاله «ياسين» بدم بارد فقهرت نفسه، ولكنه أقسم على الانتقام من «ياسين»، وأن يحاسبه على مستقبله الذي أنهاه، وعلى حبيبته التي سرقها منه، وعلى أمه التي قتلها بحسرتها، وعلى إخوته الصغار الذين يخاطر بحياتهم الآن، وعلى بلده التي تركها هاربًا، أقسم إنه لن يترك حقه ولكن لكل شيء ميعاد وقدر، وصلت السفينة إلى «إيطاليا» بسلام، وكأن رعاية الله كانت تحفظها من أجل ذلك المظلوم وأولئك الأبرياء، وهناك ودعه صاحب السفينة وتركه لحاله، فمسؤوليته أن يوصله إلى «إيطاليا» فقط، وما بعد ذلك فعلى «عادل».

تُرى ماذا سيفعل في الغربة؟

الفصل التاسع

خطة الانقاذ

عادت «سيلا» إلى الفيلا التي يقطن فيها إبليس مع أختها وأبيها وأمها، وكانت في منتهى الغضب، فلامت على أبيها وأمها أن وافقا على تلك الزيجة، وكان ياسين قد دس السم في العسل لأبويها؛ فأحباه واعتبراه ابنا لهما لا زوج ابنتهما، فكان من نوع البشر الانتهازيين المنافقين، الذين يتسللون إلى الناس بالنفاق والخداع وإظهار عكس ما يضمرونه، حتى أن أبيها وأمها قد غضبا عليها لاعتراضها على زواج أختها منه، وأخذا يدافعان عنه باستماتة؛ فلقد استطاع الشيطان أن يسحر الجميع بصورته المزيفة، فهم أعمى عيونهم عن حقيقته المرعبة؛ فأصبحوا لا يستطيعون رؤية وجهه البشع، والتي تراه «سيلا» بوضوح؛ فقام والداها بتعنيفها على اعتراضها على «ياسين» فقال أبوها:

ـ ما به «ياسين»؟! شاب ناجح ونشيط ومجتهد، أهو خير أم ذلك المجرم الذي كنت تعشقينه؟ احتفظي برأيك لنفسك ولا تفسدي على أختك سعادتها.

صمتت «سيلا» وقد تلقت تلك الكلمات من أبيها كطلقات الرصاص التي اخترقت قلبها فأدمته ألمًا وحسرة، أسرعت إلى غرفتها تبكي حظها السيء، كان كل من «سما» و«ياسين» في شرم الشيخ يقضيان شهر العسل، وعندما عادا نظر «ياسين» إلى «سيلا» بنظرات خبيثة متشفية قائلاً:

ـ مرحباً «سيلا» كيف حال أخت زوجتي الحبيبة؟

أخذ يضحك حتى يزيد من غضبها؛ فنظرت إليه باحتقار وقد علمت بخبر هروب «عادل»، عندما ذهبت لزيارته فعملت بأنه قد هرب منذ ما يقرب من شهرين أو يزيد ثم ابتسمت قائلةً:

ـ مرحبا يا «ياسين».

فاندهش من أسلوبها الساخر هذا فتابعت:

ـ أتمنى أن تكون قد أمضيت وقتاً سعيداً بما في الكفاية. آه هل علمت؟... صديق عمرك «عادل» قد هرب منذ ما يقرب من شهرين أو يزيد، والشرطة ما زالت تبحث عنه، ترى إلى أين ذهب؟ وماذا ينوي أن يفعل؟

وهنا تغير وجه «ياسين» فشحب وبدا عليه الإزعاج والرهبة، فهو يعلم بأن «عادل» سوف ينتقم منه لما ألحقه به من أذى، فتمتم في تلعثم قائلاً:

ـ أحـ...حقاً ما تقولين؟ هل هرب؟

فضحكت قائلةً:

ـ أجل لقد هرب بالفعل يا «ياسين»... أتمنى أن تمضي الباقي من عمرك في نفس السعادة، إلى اللقاء...

غادرت إلى عملها في الشركة، أما «ياسين» فظل متجمدًا في مكانه وهو يتمتم:

ـ ع ع ع ع عادل هرب!!! كيف يعني؟؟ يجب أن آخذ حذري.

أسرع إلى الشركة هو الأخر فهو الآن مساعد نائب رئيس الإدارة، فالنائب هي «سيلا» فأدلف إلى والد «سيلا» مسرعاً، ثم أخبره بأمر هروب «عادل» وقام بترويعه مما قد يفعله هذا المجرم بابنته «سيلا» من أن يستغلها ويورطها معه في جرائمه، وبما قد يفعله به هو شخصيًا، لأنه طول عمره يكره «ياسين» ويحقد عليه هكذا أخبر والد «سيلا» وطلب منه أن يعين لـ»سيلا» حارسا خاصا، ولكل أفراد الأسرة بما فيهم هو لحين القبض على المجرم؛ فوافق الوالد على الفور، وهكذا قام الشيطان بحماية نفسه كما اعتقد، وفى الشركة تقابل مع «سيلا» فتعرض لها كالعادة قائلاً:

ـ انتظري يا حبيبتي؛ فسوف تكونين لي قريبًا عندما أتخلص من تلك المدللة أختك.

فصرخت عليه قائلةً:

ـ إياكَ...إياك أن تمسها بسوء !! أقسم بأنني سوف أقتلك إذا آلمت أختي أو آذيتها !!

سمع «ياسر» صوت «سيلا» وهى تصرخ فأقبل مهرولاً متسائلاً:

ـ ما بكِ يا «سيلا»؟ لماذا تصرخين هكذا.

فردت «سيلا» بعد أن تمالكت أعصابها:

ـ لا يوجد شيء، تعال يا «ياسر»، أريدك في أمر هام.

ثم دخلت هي و«ياسر» مكتبها وأغلقت الباب في وجه «ياسين» الذي ظل واقفًا محتفظًا ببرودة أعصابه، وابتسامته الخبيثة.

في المكتب قالت «سيلا»:

ـ ياسر أنت تعلم تمام اليقين بأنك لست فقط ابن خالتي؛ بل أنت أخي، فنحن نشأنا سويًا أليس كذلك؟

فأجابها «ياسر»:

ـ بالطبع «سيلا».

ـ إذن سوف أخبرك بأمر هام وأريدك أن تساعدني فيه.

ـ أطلبي ما تشائين يا «سيلا».

فحكت له قصتها مع «عادل» و«ياسين» إلى تلك اللحظة التي شاهدها فيها تصرخ على «ياسين» فصدم «ياسر» ليجيب في ذهول:

- أيعقل هذا يا «سيلا».. هل يوجد إنسان به كل هذا الشر؟! ولكن ماذا سنفعل؟ كيف سننقذ «سما» منه؟
- هو الآن يسعى إلى التخلص من «سما» لأنني أمامه حرة، لذلك أريد أن أقطع أمله في أن يحصل علي وذلك بزواجي، وأنا أريدك أن تتزوجني على الورق فقط، لأبعده عني لفترة حتى أفكر في طريقة للتخلص منه، فما رأيك؟ هل ستساعدني في ذلك؟

رد «ياسر» قائلًا:

- بالطبع يا «سيلا» أوافق وسنعمل سويًا على التخلص من ذلك الحقير.

ابتسمت ثم قالت:

- حسناً...فلتذهب الآن وتطلبني للزواج من أبي، وأنا واثقة بأن أبي سوف يرحب ويوافق حتى أنسى عادل.
- حسناً... ذهب بالفعل طلبها ووافق أبوها، فـ «ياسر» شاب محترم ابن عائلة راقية، مهندس ناجح وابن خالة «سيلا»، لا يوجد أفضل منه فوافق على الفور، لكن «ياسين» حينما علم جن جنونه وعارض بشدة، وتحجج بأن «سيلا» غير متزنة نفسيًا ويجب منحها فرصة لتتعافى، ولكن «سيلا» حطمت أمله؛ فلقد أظهرت كم هي سعيدة بهذه الزيجة، وتم بالفعل الزواج وقهر «ياسين».

أخذ يصرخ داخل الحمام بعد أن أغلقه على نفسه، وهو يقول:

ـ لا...مستحيل... لا لن تكوني لغيري... لن يلمسك غيري.

قلقت عليه «سما»؛ فأخذت تطرق باب الحمام، لتسأله ما به؟ فصرخ عليها أن تتركه بمفرده، ثم تمالك نفسه؛ ففتح الباب واعتذر من «سما» قائلاً:

ـ اعذريني يا حبيبتي، فأنا أخشى من ردة فعل المجرم «عادل» حينما يعلم بزواج «سيلا»، فمن المؤكد سوف ينتقم منا جميعاً، وهذا ما حاولت أن أخبركم به بمنع زواج «سيلا» الآن، ولكنكم أصررتم على تلك الزيجة، والآن لا نعلم ماذا ستكون ردة فعل ذلك المجرم؟ لذلك تلفت أعصابي لأني أعلم طينة هذا المجرم وأعلم ما يمكن أن يفعله بنا.

فضمته «سما» في سذاجة وقد صدقت تلك الكذبة.

ـ معك حق يا حبيبي، ولكن ماذا سنفعل الآن؟ فلقد تم الزواج وسوف يسافر العريسان إلى أمريكا لقضاء شهر العسل، وبذلك يكونان بعيدين عن «عادل»، ونأمل أن تمر الأمور بسلام.

نظر إليها وقد استشاط غيظًا حاول إخفاءه قائلاً:

ـ نأمل...

وفي نفسه دار هذا الحديث: سوف تدفع ثمن فعلك هذه أيها الزوج المنتظر سوف ترى...

سافر العريسان إلى أمريكا لقضاء شهر العسل كما يعتقد الجميع، ولكن حقيقة الأمر هما مجرد اخوة.

جلس الشيطان يفكر كيف ينتقم... وكيف ينفذ مخططه بأسرع ما يمكن؟ ليحكم السيطرة على أموال «سيلا» ويتخلص من أبيها، وأيضًا زوجها هذا الذى تحداه وسلبها منه؟ بينما «سيلا» و«ياسر» يفكران في كيفية التخلص من هذا الشيطان.

ترى ماذا سيحدث؟

الفصل العاشر

في الغربة

بعد أن وصل عادل وأخوته إلى إيطاليا، لم يجد له مكانًا يأويه هو وإخوته؛ فتسكع في شوارع المدينة بحثًا عن عمل وعن مكان يأويه فلم يجد، حتى حل المساء فوجد مكانًا شبه مهجور به الكثير من السيارات الخردة القديمة؛ فأسرع يبحث عن هيكل سيارة لينام فيه إخوته الصغار، وحتى يستطيع هو أن يبحث لهم عن طعام، ومرت الليلة بدون طعام للصغار، ولكنهم ناموا في حضن أخيهم الأكبر من شدة الإرهاق والتعب، ولكن قلب «عادل» كان ينفطر من الألم على إخوته الأبرياء، الذين ينامون كالملائكة بدون طعام، فأخذ يتلفت حوله والمكان مظلم قاتم فلم يجد حوله أحدًا، ولكنه شاهد على البعد بصيص ضوء، يخرج من مبنى على بعد مسافة

منه، فترك إخوته نائمين، وذهب باحثاً عن طعام في هذا المكان، لم يفكر في قسوة طلب الطعام على نفسه، ولكنه فكر فقط في إخوته، فلا مجال هنا لكرامته أو كبريائه؛ فذهب راكضًا باتجاه هذا الضوء، الذي كلما اقترب؛ كلما ظهرت معالم البناء الذي يخرج منه، حتى وصل فوجده فندقا صغيرا؛ فطرق الباب، ففتحت له سيده أربعينية جميلة.

نظرت إليه بتمعن وسألته:

- من أنت؟ وماذا تريد في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

ولكن لهجتها كانت بالإيطالية وهو لا يعرف اللغة الايطالية؛ فحاول أن يتحدث معها بالإنجليزية لعلها تفهمه، وبالفعل أخبرها بأنه يريد طعام لإخوته الصغار ففهمت السيدة بعض الكلمات وذهبت وأحضرت الطعام وأعطته له؛ فشكرها.

ذهب مسرعًا إلى إخوته، فأيقظهم وأطعمهم الطعام فأكلوا حتى الشبع، فلكم كانوا جائعين ثم تابعوا نومهم، بعد أن أحاطهم كبيرهم بذراعيه ليقيهم برودة الليل بجسده... فنام هو الآخر حتى الصباح.

وفي الصباح الباكر فتح عينيه؛ فإذا به يشاهد السيدة صاحبة الفندق أمامه، ومعها طعام الإفطار أعطته إياه ليطعم الصغار، فابتسم شاكرًا لها معروفها، ثم حمد الله فلكم هو قريب منه، يسخر له عباده بدعوات أمه، التي يجيبها الله لها بعد موتها، فلكم والله

كريم رحيم به، ثم أشارت عليه أن يذهب معها إلى الفندق هو والصغار، فلديها غرفة فارغة، كما أنها بحاجة لشخص يساعدها في الفندق؛ فاندهش «عادل» من طلبها، كيف لها أن تؤمنه وهى لا تعرفه... ولا تعرف ما يخفي من أسرار؟ ألا تخشى بأن يكون مجرمًا فيصيبها بمكروهٍ؟ فهي لم تره إلا ليلة أمس فقط، وفي الصباح تأتي إليه وتطلب منه أن يعمل لديها وأن يسكن عندها !أمر غريب حقًا! ولكنه مجبر لا بطل؛ فمهما كان المقابل الذي ستريده هي منه، يهون أمام أن ينام إخوته في غرفة ويجدوا طعام يومهم، حتى يجد لنفسه ولهم مخرجًا؛ فوافق.

ذهب معها بإخوته، وفي الفندق قام عادل بإحضار الطلبات للفندق من طعام وشراب وأشياء أخرى، ثم أخذ يشرف على الغرف وسكن النزلاء، ومرت الأيام والشهور حتى مر عام وهو على هذا الوضع، ولم يرى من السيدة الإيطالية سوءًا قط حتى أتت ليلة فذهبت إليه في غرفته، وأخبرته بأنها تحبه وبأنها تريده عشيقًا لها؛ فرفض ودفعها بعيدًا عنه، فهو أبدًا لن يفعل أمرًا مشينًا كهذا، لن يرتكب تلك الفاحشة، فأمه الفقيرة قد ربته على الدين والخلق والحلال والحرام، أبدًا لن يستسلم لشيطان نفسه؛ فطردها خارج غرفته، ثم قرر أن يترك الفندق إذا كان هذا هو المقابل الذي تريده هي منه.

في الصباح أخذ إخوته وقرر أن يذهب، وقام بإعطاء «كلارا» المفاتيح، ولكنها رفضت أن تأخذه ثم أخبرته بأنها قد احترمت رغبته، ثم عرضت عليه الزواج الرسمي، ولكنه رفض على الفور

وأخذ إخوته وترك الفندق وذهب، فأمسكت به «كلارا» وقالت:

ـ فكر قليلاً يا «عادل»، وإن لم ترغب في الزواج مني أعدك بأني لن أطلب منك هذا الأمر مرة أخرى، اتفقنا؟ هيا عد إلى عملك وأترك الصغار يعودون لغرفتهم.

فهدأ «عادل» قليلاً، ثم قبل وعاد لعمله وقرر أن لا يتحدث في هذا الأمر مرة أخرى، فهو أبدًا لن يكون هذا الشخص الانتهازي الذي يستغل حب امرأة له ليستولي على أموالها، أو يعيش على حسابها أبدًا لن يكون هذا الشخص، فهو يأكل من عمل يده وتعبه فقط.

نام ليلته ولكنه رأى في منامه حلمًا غريبًا، استيقظ منه متعجبًا!!

تُرى ماذا رأى عادل؟

الفصل الحادي عشر

حلم وحقيقة

استيقظ «عادل» مندهشًا من الحُلم الذي رآه، كان حُلمًا عجيبًا؛ فلقد رأى أمه المتوفاة وكانت سعيدة، ولكنها لم تمكث كثيرًا دنت منه وقبلته ثم قالت:

ـ تزوجها يا بني، تزوجها !

لوحت له مودعة وغادرت، فاستيقظ على صوت أمه وهى تقول:

ـ تزوجها يا بني، تزوجها !

جلس في فراشه مذهولاً لبرهة، حتى استجمع نفسه ثم تمتم:

ـ تلك إشارة! فالله يريد لي هذه الزيجة، وأرسل إلي أمي لتُخبرني بالإشارة !

ذهب إلى «كلارا» قائلاً:

ـ هل مازال عرضك بالزواج قائمًا؟

فأجابته بسعادة غامرة:

ـ أجل يا «عادل».

ـ وأنا أيضًا موافق.

كان «عادل» لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره؛ بينما «كلارا» تجاوزت الستة وأربعين عامًا، ولكنه لم ينظر إلى هذه المسألة، هو نفذ الإشارة لعل الله يحمل له الخير، وبالفعل كان الله عند حسن ظن عبده به، فخبأ ل «عادل» الخير والخير الكثير؛ فبعد أن تم الزواج ومر عليه ستة أشهر، كان فيها «عادل» مثالا للزوج الصالح؛ فلم يجرح شعور «كلارا» ولو بكلمة بل عاملها أحسن ما يكون، هي الأخرى كانت له زوجة، وأمًا حنونة، اعتنت به وبإخوته وأدخلتهم المدارس الخاصة ليتم تعليمهم، وأنفقت عليهم ببذخ ولم تبخل، وكان «عادل» قد قص عليها حكايته كلها قبل أن يتزوجها، فهو أراد أن تعرف عنه كل شيء لم يرد أن يخدعها؛ فقامت «كلارا» بالحصول على الجنسية الإيطالية لـ»عادل»، وقامت بتغيير اسمه ومنحه اسم عائلتها رسميًا، من خلال معارفها ونفوذها فأصبح مواطنًا إيطاليًا اسمه «جوزيف كاراس»، مسلم الديانة.

وبعد ستة أشهر من زواجه تعبت «كلارا» تعبًا شديدًا؛ فسقطت على الأرض، فأسرع «عادل» يحملها ويستغيث بأحد لإنقاذها، ولكنها بعد لحظات استعادت وعيها فطمأنته ثم قالت:

- عزيزي «عادل»... أريدك أن تعلم بأنني قد عشقتك، وكنت أتمنى أن أعيش وقتا طويلا معك، ولكن للأسف المتبقي لي في هذه الحياة لن يكفي للاكتفاء منك...

فقاطعها عادل في ذعر قائلاً:

- ماذا تقولين يا «كلارا»؟
- أنا أحتضر يا «عادل»، لقد أخفيت عنك أمر مرضي، فأنا مريضة بالسرطان منذ عامين، ولم يعد يجدي العلاج لذلك أردت أن أعيش ما تبقى من عمري سعيدة، وتكفيني الستة أشهر تلك فهي بعمري كله، عادل لقد تنازلت لك عن كل أملاكي، فأنا لا أملك هذا الفندق فقط، بل أملك شركة سياحية ورثتها عن زوجي السابق، يديرها بعض الموظفين، أقرباء لزوجي السابق، كنت أتابعهم عن بعد، لأنني أحب هذا الفندق وأردت أن أنهي حياتي فيه، لذلك فإن الشركة واسمها «كلارا تورز»، إذا أردت أن تبدل اسمها فلا بأس، والأموال في البنك كلها لك لقد تنازلت لك عن كل شيء بيع وشراء، والعقود ستجدها مع المحامي

سوف يسلمك إياها بعد وفاتي، كل ما أرجوه منك أن لا تنساني، وأن تأتي لزيارتي في قبري، فأنا أخاف الوحدة.

ثم أغمضت عينيها وفاضت روحها.

فبكى «عادل» بشدة فهو حقًا إنسان طيب القلب، مرهف الحس، إنسان أولاً وأخيرًا، بكى زوجته التي لم تبخل عليه بشيء، وأدرك بأن الله أراد أن يكافئه، على ما تعرض له من ظلم بكل هذا العطاء الوفير، سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب، فأصبح عادل الفقير المعدم من أغنى رجال الأعمال في إيطاليا وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، فرب ضارة نافعة؛ فلولا مكيدة الشيطان له؛ لما وصل إلى ما حصل عليه الآن، ولكنه في المقابل فقد الكثير الذي لا تعوضه كنوز الدنيا، فقد أمه، فقد حبه، فقد حلمه ومستقبله، فقد وطنه، فقد هويته لم يعد «عادل» المصري، ولكنه أصبح «جوزيف الإيطالي»، هذا ما أصبح عليه الآن فلا أمل في العودة إلى الوطن، ولا الرجوع إلى الذات، شخصان لنفس الجسد، أحدهما يجب عليه الاختفاء للأبد، والآخر لابد أن يثبت وجوده حتى يستطيع أن يأخذ بحق الأول...

أترى ما الذي سيفعله عادل أو جوزيف؟

الفصل الثاني عشر

استدعاء الشيطان

فكرت «سيلا» في خطة ذكية لتتخلص من ذلك الحقير المسمى «ياسين»، وساعدها «ياسر» على تنفيذها، فهما يعلمان مدى حبه للمال والسلطة، كما أن «سيلا» سبق وأن سمعته يتحدث عبر الهاتف مع أحدهم حول قطع أثرية وما شابه، ففكرت أن تحيك له مكيدة لتسقطه في الشباك؛ فطلبت من ياسر أن يتحرى عن بعض تجار الآثار المعروفين في هذا المجال، وأن يحدد لها موعد معه، وبالفعل حدث وتم تحديد الموعد مع الحاج «سليمان الجابري»، أحد أهم تجار الآثار،، وفي المقابلة دار هذا الحوار:

ـ مرحبًا أيها الحاج، لقد تشرفت بمعرفتك.

ـ مرحبًا سيدتي الجميلة وأنا كذلك، ولكن لندخل إلى صلب الموضوع نظرًا لضيق وقتي.
ـ حسناً وأنا لن أطيل عليك، فالأمر ببساطة أريد منك معروفًا والمقابل المالي الذي تريده سوف أدفعه دون نقاش.
ـ جميل.. كم أنتِ واثقة، حقاً سيدة أعمال ناجحة رغم صغر سنك، لقد أعجبني أسلوبك، ماذا تريدين؟
ـ أريدك أن تزيح أحدهم عن طريقي.
ـ عفواً، لقد أخطأتِ العنوان، فأنا لست قاتلاً مأجوراً.
ـ مهلاً، مهلاً فلقد أسأت الفهم، من تحدث عن القتل هنا؟
ـ إذن ماذا تريدين؟
ـ أريدك أن تساعدني في إدخال أحدهم إلى السجن في قضية تجارة آثار لفترة قصيرة، حتى أستطيع أن أدبر أمري.
ـ حسناً فهمت مقصدك ليكن لك هذا الأمر.
ـ أشكرك كثيرًا.
ـ ولكن في المقابل أريد مليون جنيه فقط لأجل عينيكِ الساحرتين؛ فقد شفعا عندي كي لا أطلب المزيد.
ـ حسناً.. لك ما تريد.
ـ إذاً من هو سعيد الحظ يا ترى؟

- زوج أختي اسمه «ياسين» ويعمل بشركة والدي، ويحب المال والسلطة، يفعل أي شيء مقابل ذلك...
- حسناُ لن أسألكِ عن المزيد لننفذ خطتنا إذاً.
- غداً سوف أرسل أحد رجالي إلى شركتكم كعميل يريد عمل ديكور لمكتبه، وسوف يطلب المهندس «ياسين» بالاسم وكأنه قد سمع عنه سابقًا، وهناك سوف يتعمد رجلي الحديث حول قطعة آثار نادرة بحوزته، ويريد أن يبيعها، ولكنه لا يعرف أحدًا موثوقًا به، وكم أن هذه البيعة سوف تدر الكثير من الأموال والكل سوف ينال نصيبه، ولكن للأسف لا يعرف أحدًا ليتمم البيعة
- وهنا بالتأكيد سوف يتدخل «ياسين» ليفوز بالصفقة أليس كذلك؟
- هو كذلك فلكم يعشق المال بشكل مرضي والفكرة أكثر من رائعة.
- حسناً وسوف نعطيه قطعة أصلية مسروقة من المتحف المصري، وببلاغ صغير من مجهول، يتم القبض على صديقنا وبحوزته القطعة، في حالة تلبس كاملة، وانتهى الأمر.

فابتسمت «سيلا» وهي تنظر إلى «ياسر» الذي علق قائلاً:

- عظيم... فلنبدأ الخطة إذاً.

وفي اليوم التالي تم تنفيذ الخطة بمنتهى البراعة، والتهمت الفريسة الطعم، وكما توقعت «سيلا» طمعه وحبه للمال، أعمى عينيه وتفكيره، فلهث خلف الملايين، وتم البلاغ عنه والقبض عليه متلبسًا بالقطعة الأثرية، وتمت محاكمته وحُكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، فتجرع من نفس الكأس الذي سقى منه «عادل» البريء، وظل يصرخ بأنه بريء، ولكن دون جدوى، واستطاع أن يقنع «سما» ووالديها بأنه بريء وبأن أعداء نجاحه هم من دبروا له تلك المكيدة، ولماذا يفعل أمرًا كهذا إن كانت كل ثروة أبيها تحت تصرفه؟، وبدورها أقنعت «سما» والديها ببراءته، وبأنها لن تتخلى عن زوجها، وسوف تسانده بكل ما أوتيت من قوة، ورفضت هي ووالداها رأي «سيلا» بأن تنفصل «سما» عن ذلك المجرم، فهو لا يناسبها ولا يناسب مركز عائلتها.

غضبت «سيلا» من موقف أسرتها هذا، فماذا تفعل مع هذا الشيطان؟ كلما حاولت إزاحته عن حياتها، تمكن منها أكثر وأقوى؟ ما هذه التعويذة التي أطلقها على أسرتها حتى لا يستطيعوا رؤية وجهه القبيح هذا؟ لماذا يرونه ملاكا هكذا، وماذا تفعل هي أكثر من ذلك؟

قررت أن تذهب إليه بنفسها لتزوره بالسجن فاندهش عندما رآها، ولكنها نظرت إليه بتشف كان جليًا في نظراتها ثم قالت ساخرة:

ـ ما رأيك يا «ياسين»؟ هل أعجبك السجن يا ترى؟

فنظر إليها بغضب شديد ثم عقب قائلاً:

ـ أنتِ إذاً من فعلت بي هذا؟

ـ بل طمعك وجشعك ونفسك المريضة هي من فعلت بك هذا، أرأيت؟ هل الظلم والافتراء أمر جيد؟ كما فعلت بـ»عادل» المسكين هل تذكره يا ترى؟ أتذكر ماذا فعلت به وبي؟ العين بالعين، ولكن فعلتك أشد وألعن، لا أحد يعلم أين هو الآن، وليكن بعلمك لن أتوقف حتى أذيقك أمر العذاب، سوف أحرقك بنار حقدك وظلامك فأنت عدوي لآخر العمر، انتظر وسوف ترى.

ابتسم ابتسامة مريضة خبيثة، وبنظرة مخيفة اقترب من السياج الفاصل بينهما ثم نظر في عمق عينيها قائلا:

ـ افعلي بي ما تشائين يا جميلتي، فأنا أعشقك بكل حالاتك، أعشق حتى هذا الكره الذى يملأ عينيك الجميلتين، أعشق كل ما فيكِ، انتظري قليلاً يا جميلتي، لكن لا تنزعجي حينما تنظرين حولك؛ فلا تجدين أحداً سواي، ففي النهاية سنكون أنا وأنتِ فقط، ستكونين لي شئتِ أم أبيتِ، وسوف أحاسبك على هذه الفعلة الطائشة، وأرجو أن تستطيعي تحمل بعض الويلات التي ستلاقينها، لا تنزعجي يا جميلتي، فلقد فتحتِ بيديكِ الناعمتين للمارد باب جهنم، ليخرج ويحرق العالم بأكمله، فأنتِ من استدعت

الشيطان، هيا إلى اللقاء، وحتى نلتقي يا فاتنتي لكِ قُبلاتي الساخنة.

ثم أرسل إليها قبلة على طرف أصابعه ونفثها في وجهها، وجهها الذي شحب؛ فأصبحت كجثة باردة بلا روح، ظلت متجمدة من هول ما سمعت، فهي لم تحسب حساب هذا الشيطان جيدًا، هو بالفعل شيطان لعين لا يمكن أن يكون هذا بشر، ما هذا الرعب الذي اجتاح ثنايا روحها؟ ماذا لو نفذ تهديده لها؟ ماذا ستفعل هي بمفردها؟ لم تكن تدري بأنها حينما قررت التخلص منه، إنها قد استدعت الشيطان بدلاً من أن تصرفه، صرخت بأعلى صوتها:

ـ كفى؛ فلتنته هذه اللعنة يا الله...

أين أنت يا «عادل»؟

الفصل الثالث عشر

للشراء ثمن

بعد أن توفيت «كلارا» أتى محاميها إلى «عادل» في الفندق، ليسلمه التركة كاملة، ولكن هذا الأمر لم يكن يروق للبعض، وهؤلاء هم أقرباء زوج «كلارا» السابق، الذين كانوا يديرون الشركة ويتحكمون في الأموال، كانت «كلارا» تخشاهم لأنهم خطرون وعلى صلة بعصابات كثيرة، فلم تكن تحتك بهم، بل تركت لهم إدارة الشركة والأموال مكرهة، وفضلت قضاء ما تبقى لها من عمر في هدوء؛ فمكثت في ذلك الفندق، ولم يكن عادل يعلم ما تخفيه له هذه التركة من مصاعب، إلا عندما أخبره المحامي ببعض الأمور عن هؤلاء الأقرباء، وكم هم خطرون... وكم ستكون مواجهته لهم في منتهى الصعوبة؟ ولكن «عادل» لم يكترث لهم؛ فلقد قرر أن

يأخذ ما هو حق له، وألا يتنازل لأي مخلوق عن حقه بعد اليوم، ولتكن المواجهات عنيفة، لن يخسر أكثر مما خسره.

انتقل إلى الشركة، وأمر أقرباء زوج «كلارا» السابق بأن يسلموه جميع المستندات، وحسابات الشركة وكل ما يتعلق بها، أبدى قوة لا يستهان بها أمامهم، فلكم كان قويًا واثقًا من نفسه وجسورًا، فنظر كلا من «أندريا» و«فابيو « أبناء عم زوج «كلارا» لبعضهما البعض، ثم أنصرف، وفي مكتب أحدهما دار هذا الحوار:

- أرأيت يا «فابيو».. كيف كان يتحدث هذا المدعو «جوزيف»؟
- نعم يا «أندريا»، يتحدث بكل جرأة وثبات، ولكن الأمر هكذا لن يفلح.
- أنت محق يا «فابيو»، علينا التصرف بمنتهى السرعة؛ وإلا سوف نخسر كل هذه الملايين.
- لا تقلق «أندريا»، فأنا لدي خطة سريعة للتخلص من هذا الكائن، الذى لا ندري من أين هبط علينا؟؛ ليستولي على أموالنا.
- حسنًا «فابيو»، فلنبدأ على الفور، فإن التأخير ليس في صالحنا، وإلا سوف يكتشف التلاعب في الحسابات بمجرد الاطلاع عليها.
- اطمئن فالليلة سوف ينتهي كل شيء.

جلس «عادل» يتفحص الأوراق ولكنه لم يستطع معرفة شيء، فهو لا يزال حديث عهد باللغة الإيطالية؛ وإن كان قد بدأ في إتقانها خلال فترة زواجه من «كلارا»، ولكن مازال ينقصه بعض الخبرة، فقرر الاستعانة بخبير حسابات، وطلب من المحامي أن يزكي له أحدهم، وبالفعل وجد أحدهم؛ وأرسل إليه الملفات ليتفحصها.

عاد «عادل» إلى الفندق، فهو لن يتركه أبدًا لأن به ذكريات زوجته الطيبة، كما إنه كان أملها؛ فقام برعايته حق الرعاية وطوره وجمله، كان قبر «كلارا» بجواره كما أوصت وكان يذهب إليه يوميًا؛ فيحدثها عما فعل ويخبرها بأنه لن ينساها، وبأنها ليست وحدها، ثم يعود إلى الفندق.

في الليل، وبينما الجميع نيام، استيقظ «عادل» على صوت انفجار شديد، هز أركان الفندق بأكمله، فأصابه الهلع؛ فلقد كان الفندق يشتعل بالكامل، وأخذ النزلاء يصرخون والنيران تحيط بهم من كل صوب، فأسرع يحاول إنقاذ النزلاء ويخرجهم واحدًا تلو الآخر، حتى استطاع أن ينقذ الجميع، ولكن الفندق كان قد احترق بالكامل والنيران قد اشتعلت به كالجحيم،؛ فسقط أحد الأعمدة على «عادل» فخر مغشيًا عليه وسط النيران، التي التهمته مع كل ركن في الفندق.

جاءت سيارة الإسعاف والشرطة والمطاف؛ لتخمد الحريق الذي أبى إلا أن يظل مشتعلًا لوقت طويل، حتى تم الاستعانة بطائرة قامت بالإطفاء من الجو؛ فخمد الحريق وقد ترك كل شيء متفحمًا، وبعد معاناة من رجال الإنقاذ: تم العثور على «عادل» كان لا يزال على قيد الحياة، ولكن جسده ووجه كانا قد احترقا؛ فأصبح جثة مرعبة متفحمة ولكنها على قيد الحياة، مكث بالمستشفى شهورًا عديدة تتم فيها معالجته، ولكن الأمر جد خطير ومعقد للغاية؛ فلا أمل في علاج وجهه وجسده.

اطمئن الإخوة إلى أن «عادل» لن ينجو من هذه الحادثة، رغم غضبهما بأنه قد نجى من الحريق؛ فهما لم يتوقعا أبدًا بأنه سوف يخرج حيا، ولكن الأمر جيد فمازال أمامه الكثير من الوقت، ربما سنوات حتى يستطيع أن يخرج من هذه الأزمة؛ فالساحة الآن خالية أمامهما.

في المستشفى ذهب إخوته الصغار يبكون بعدما علموا من المحامي ما حدث لأخيهم؛ فسمحت لهم إدارة المدرسة الداخلية التي أودعتهم فيها «كلارا»، بزيارة أخيهم فجلسوا حوله يبكونه، ولكنه حاول أن يطمئنهم بأنه بخير، ولكن أين الخير هذا؟ ووجه وجسده قد لف بالشاش بالكامل وكأنه مومياء محنطة.

أمر المحامي بأن يعيد إخوته إلى مدرستهم حتى يطمئن عليهم، وأن يخبر الإدارة بألا يُسمح لأي أحد بالاتصال بهم، وألا يغادروا المدرسة، وأن يقوم بدفع كافة المصروفات اللازمة للمدرسة

مع التبرع بمبلغ ليضمن مزيد من الرعاية لإخوته، حتى يذهب هو بنفسه إليهم.

في المساء أتى الطبيب ليطمئن على حالة «عادل»، فقال:

- مرحبًا «جوزيف»، كيف حالك الآن؟
- أتألم بشده أرجوك أفعل أي شيء يخفف عنى هذا الألم.
- نفعل كل ما بوسعنا يا «جوزيف»، لكن حالتك خطيرة للغاية؛ فالحروق قد التهمت ملامحك وجسدك.
- ألا يوجد حل؟ لا يهم المال أرجوك أيها الطبيب، جد لي حلاً، فأنا على ذات الحال منذ شهور.
- الأمر غاية في الصعوبة يا «جوزيف» وحالتك سوف تستغرق الكثير من الوقت ربما سنوات، ولكن انتظر، فأمامنا حل واحد لا يوجد غيره.
- ما هو أيها الطبيب؟ أخبرني من فضلك.

تُرى ما هو الحل الذي أشار به الطبيب على جوزيف؟!

الفصل الرابع عشر

الوجه الأخر

سأل عادل الطبيب بلهفة عن ماهية هذا الحل الذي اقترحه عليه فرد الطبيب:

- عملية زراعة وجه.

صعق عادل ثم رد في ذهول:

- ماذا؟
- زراعة وجه يا «جوزيف»، أنت بحاجة إلى عملية زراعة وجه وبأسرع ما يمكن.
- لكن كيف؟ هل سيكون هذا الوجه وجهي السابق؟
- بالطبع لا،سيكون وجهًا جديدًا كاملاً لشخص أخر تُوفي.

ـ كيف ذلك.. هل سأكون أنا شخصا آخر؟!

ـ اهدأ يا «جوزيف»، ودعني أشرح لك الأمر بهدوء؛ فهذه العملية نادرة جدًا، وأماكن محددة بالعالم هي التي تجري فيها، كما أن تكلفتها باهظة للغاية، لذلك استمع جيداً، نحن سنقوم بزراعة وجه لك، وهذا الوجه هو وجه أي شخص آخر متوفى، وفي نفس سنك تقريبًا، يتم أخذ موافقة مكتوبة من أهل المتوفى على التبرع بوجه، وبعد ذلك تتم زراعة الوجه لك، بعد فترة العلاج سوف تصبح شخصاً عاديًا بدون أي تشوهات، ستكون أنت «جوزيف»، ولكن وجهك لن يعود لشكلك الطبيعي، فسوف تحيا بوجه ذلك المتوفى، إما هكذا وإما سوف تعيش مسخاً مرعبًا، يفر منه القريب قبل الغريب، فماذا تختار؟.

صمت «عادل» وأخذت دموعه تنهال ثم حدث نفسه قائلاً:

ـ الآن قد متُّ بالفعل يا «عادل»، في البداية تنازلت عن اسمك والآن تتنازل عن وجهك، فسوف تصبح شخصًا آخر بالفعل... مات «عادل» للأبد ولم يعد له وجود، لا أعترض على حكمتك يا الله، ولكن البلاء شديد.

ثم عقب:

ـ حسنًا أيها الطبيب، أوافق متى سنجري العملية وأين؟

- في مشفى بأمريكا معروفة في هذا المجال، ولكن السفر سوف يكون بعد ستة أشهر من الآن، حتى تلتئم جروحك.

مرت الستة أشهر على «عادل»، وكأنها ستون عاما من الألم والمعاناة، نسي خلالها شكله القديم بالفعل، حتى حانت لحظة السفر إلى أمريكا لإجراء العملية؛ فلقد تبرعت أسرة شاب أمريكي متوفى بوجهه مقابل مبلغ مالي دفعه «عادل»، كان الشاب وسيمًا ذا بشرة بيضاء وملامح غاية في الوسامة، مكث عادل في المستشفى شهورا لاستكمال العلاج، ولإجراء عمليات تجميل بجسده المحترق على فترات متباعدة، فأمضى عاما كاملا في المشفى بالولايات المتحدة.

أما «سيلا» قررت أن تعود لأمريكا، بعد أن رفض أبواها فكرة طلاق أختها من «ياسين»؛ فغضبت وقررت أن تبتعد حتى تستجمع نفسها، وخاصة بعد ما علمت بأن الشيطان «ياسين» سوف يخرج قريبًا، بقي على خروجه ستة أشهر بعدما قضى ثلثي المدة، فعادت إلى أمريكا بصحبة «ياسر» بعد أن أخبرته بآخر كلمات الشيطان لها؛ فنصحها بالعودة إلى أمريكا حتى يفكرا في حل لهذا الشيطان.

سافرا، ومرت الستة أشهر، وخرج المارد ليحرق العالم كما هدد وتوعد؛ فبعد خروجه ذهب إلى الشركة ليمارس عمله، وقام بحيلة رخيصة فقام بدس ورقة بيضاء وسط الأوراق التي يوقع عليها والد «سيلا» بالاتفاق مع السكرتيرة مقابل مبلغ من المال، لتجعله

يوقع على كل الأوراق كعادته، وبالفعل وقع الأوراق وعادت السكرتيرة وأعطته الورقة البيضاء الموقعة، فأخذها وقام بكتابة جميع أملاك والد «سيلا» وأمواله بيع وشراء لنفسه، ثم أخفاها لفترة قصيرة لحين إعلانه خبر استيلائه على الممتلكات، ولكن أولاً عليه أن يحرر «سيلا» من أسر «ياسر» كما يعتقد هو، يجب أن تعود «سيلا» وحيدة لتكون له في النهاية.

قام بإرسال قاتل مأجور ليتخلص من «ياسر» في أمريكا، وأثناء وجود «ياسر» مع «سيلا» في فرع الشركة وبينما هما يمارسان عملهما، أقتحم المكتب رجل ملثم، وفي لمح البصر أطلق رصاصة اخترقت قلب «ياسر»، فأردته صريعا، ثم اختفى، بينما «سيلا» أخذت تصرخ حتى اجتمع الناس حولها هي و«ياسر»، وقام أحدهم باستدعاء سيارة الإسعاف، وتم نقل «ياسر» ومعه «سيلا» إلى المشفى.

دخل ياسر غرفة العمليات وانتظرته «سيلا» أمام الغرفة وهي تبكي بانهيار، حتى خرج الطبيب وقال:

ـ بأن العملية تمت ولكن الحالة حرجة للغاية، وعليهم الانتظار إلى الغد لمعرفة ماذا سيحدث؟

كانت غرفة العناية المركزة الموجود بها ياسر مقابلة لغرفة أخرى، مجهزة بأعلى التجهيزات، يمكث بها شاب لم تستطع رؤية ملامحه؛ فنظرت إليه عبر زجاج الغرفة محدثة نفسها من هذا يا ترى؟ يبدو عليه شخصية هامة أو ابن أحد الشخصيات المرموقة،

حتى يستعد المشفى بالكامل من أجله هكذا.

في صباح اليوم التالي، استيقظ الشاب على صراخ «سيلا»؛ فلقد تُوفى «ياسر» المسكين، وعندما أمعن النظر تحقق من «سيلا» وكانت المفاجأة.

الفصل الخامس عشر

المفاجأة

استيقظ الشاب على صراخ «سيلا»، التي فقدت أخاها وصديقها «ياسر»، فهو أبدًا لم يكن لها زوجًا، كان أخاً وصديقاً حقيقياً؛ فقدته بفعل الشيطان الذي نفذ تهديده وقتل «ياسر»، والقادم أبشع لقد علمت ذلك؛ فظلت تصرخ في هستيريا حتى فقدت وعيها، ونقلت إلى إحدى الغرف لإجراء الإسعافات لها، وكان الشاب الوسيم ينظر من خلف زجاج غرفته في ذهول، فلم تصدق عيناه ما رأت، فهذا الشاب كان «عادل»، وهذه «سيلا» حب عمره، التي لم ولن يعشق سواها، ما الذي أتى بها إلى هنا؟ ومن هذا الذي تصرخ عليه وتنادي باسمه؟

ذهب إلى غرفتها، فوقف ينظر إليها بنظرات عشق وشوق وحرمان، نزلت دموعه رغمًا عنه وهو ينظر إليها عاجزًا عن مواساتها، استرجع شريط حياته القصير والمليء بالكثير والكثير من المعاناة والألم، ظل ينظر إليها في عشق حتى فتحت عينيها الدامعتين؛ فنظرت إليه في تعجب! فلقد لمحت تلك النظرة العاشقة الصامتة؛ فحاولت النهوض لتتفحص ملامح ذلك الشاب الذي ينظر إليها، ولكنه انصرف مسرعًا فور رؤيته لها وهى تنظر إليه، وتابعت بكائها على «ياسر»، ثم أخذت تصيح أين أنت يا «عادل»؟ لماذا تركتني وحدي؟ لماذا تركتني له؟.

سمع «عادل» صوتها وهى تناديه، فانتفض قلبه، أراد أن يعود إليها ليضمها إلى صدره، ليخبرها بأنه موجود، ولكن أين هو؟ هو الآن ليس «عادل»، فـ«عادل» مات للأبد؛ فعاد إلى غرفته وقلبه يتمزق، ثم سأل الممرضة عن حالة «سيلا «ومن الذي تُوفي؟ فأخبرته بأنه زوجها؟ فنزل الخبر على مسامعه كالصاعقة، اذا سيلا تزوجت بغيره ونسيته تمامًا، ولكن لماذا تستدعيه الآن؟ وتنادي عليه إذا كانت تزوجت ونسيته؟ حزن كثيرا ولكنه قرر أن يبحث ويعرف كل الحقيقة بعد أن يتم شفاؤه، وأثناء خروج «سيلا» من المشفى، بعد أن أتمت كافة الإجراءات المتعلقة بـ «ياسر»، مرت على غرفة «عادل»، هي لا تدري لماذا؟ ولكنه رُغمًا عنها وجدت نفسها تقف أمام غرفته؛ فطرقت الباب ودخلت.

لما رآها ارتبك كثيرًا، ولكنه تمالك نفسه على الفور؛ فلقد تذكر بأن وجهه تبدل وهي مستحيل أن تعرفه، فهدأ قليلاً فحدثته بالإنجليزية قائلة:

ـ مرحبًا.. كيف حالك؟

فرد في هدوء تصنعه قائلاً:

ـ مرحبًا.. سيدتي كيف حالكِ؟

ـ منذ قليل كنت تقف على باب غرفتي لقد رأيتك، ماذا كنت تريد مني؟ ولماذا تتلصص علي؟

ـ عفوًا لم أقصد أن أتلصص أو ما شابه، فقط رأيتك تصرخين في الصباح ورأيت حالتك فأردت الاطمئنان هذا كل شيء.

ـ أجل فلقد تُوفي زوجي برصاصة غدر

ـ حقًا.. هل قتل عمدًا؟

ـ أجل قتله المجرم في وضح النهار واختفى.

أخذت تبكي ثم تابعت أصبحت وحيدة لا أحد لي الآن، فرق قلبه لحالها، أراد أن يضمها أراد أن يعترف لها بأنه موجود، ولكنه صمت فلا يوجد لديه كلام يقوله ثم قال:

ـ هوني على نفسك.

ـ أنا أيضًا وحيد هنا، لا أعرف أحد وليس لي أحد.

- مسكين ولكني أرى حالتك عفوًا، لا تؤاخذني حالتك صعبة، لماذا لا يوجد معك أحد من أقاربك؟أنا لست أمريكيًا ولا يوجد لي أحد هنا في أمريكا.
- من أي بلد أنت إذن.
- أنا إيطالي من أصول عربية حدثت لي حادثة في إيطاليا، احترق فندقي وأنا بداخله وأصبت بحروق بالغة وأنا هنا في رحلة علاج.
- يؤسف ما حدث لك.
- أشكرك
- إذًا سوف أغادر الآن وسوف أزورك مجددًا.
- ما اسمك؟
- «جوزيف».
- حسنا وأنا «سيلا» مصرية الجنسية مقيمة هنا وأحتاج إلى صديق.
- وأنا أيضًا بحاجة إلى صديق.
- جيد إلى اللقاء.

انصرفت «سيلا» وبقي «عادل» مندهشًا من ذلك الحوار الذى أجرته معه «سيلا» وهي لا تعرفه، وخاصة وهي في هذه الحالة أمر غريب، أما «سيلا» فلقد أرادت أن تتأكد من هذا الشخص، فهي تظن بأنه قد يكون عين لـ»ياسين» عليها، فأرادت أن تختبره لتتأكد من شكوكها، وفور خروجها من عنده ذهبت إلى الطبيب

المعالج له، وأخذت تسأله عن حالته، فأكد لها الطبيب ما أخبرها به «جوزيف»؛ فتيقنت من أنه مجرد مريض مسكين وحيد هنا؛ فقررت أن تساعده حتى يُشفى ويُغادر إلى بلده من باب الإنسانية، واتصلت بوالديها وأخبرتهما بما حدث ففزعا وأمراها بالعودة فورًا، ولكنها رفضت لأن القاتل يعيش بينهما، زوج ابنتهم، ولكنهما كعادتهما لم يصدقا حرفًا من كلام «سيلا»، إلى أن صعقهم الشيطان، ليستفيقا من غيبوبتهما.

فما الذي حدث؟

الفصل السادس عشر

وسقط القناع

رفضت «سيلا» العودة إلى القاهرة وقررت أن تقيم في أمريكا بعد مقتل «ياسر»، والذي عنفها الجميع لاتهامها لـ«ياسين» فالكل يعلم بأنها لا تحبه ولا تريد وجوده منذ البداية، لذلك لم يعولوا على تحذيراتها؛ فلم تجد أمامها سوى الفرار إلى أبعد ما يكون، وخاصة بعد أن هاتفها الحقير قائلاً:

ـ كيف الحال؟ هل آلمتك هديتي يا ترى؟ تلك هي البداية فقط والقادم أسوء...

ضحك ضحكات شيطانية مرعبة؛ فهذا الكائن هو بالفعل بذرة شيطانية، كيف يكون بداخل إنسان كل هذا الظلام؟! فارتعدت فرائصها، فما الذي يمكن أن يكون أسوأ مما فعله بها

حتى اللحظة، ومر شهران على حادث «ياسر»، وكانت «سيلا» قد وعدت «جوزيف» بأنها سوف تهتم به حتى يتعافى، ولكن حزنها على «ياسر»، جعلها تعتكف في منزلها لمدة شهرين، ثم تذكرت وعدها لذلك المسكين الذي يرقد وحيدًا بين جنبات المشفى؛ فذهبت إليه لتعوده.

في المشفى كان «عادل» يفكر في »سيلا»، ما الذي حدث لها؟ وكيف تتحمل وحدتها تلك في بلاد غريبة؟ وما الذي جعلها تترك مصر وتفر هكذا؟ «سيلاً» جعلت من التساؤلات قد اجتاح ثنايا تفكيره، حتى فوجئ بها أمامه وبصحبتها باقة زهور تشبهها كثيرًا في رونقها وجمالها ورقتها، ثم أهدته إياها في رقة قائلة:

ـ مرحبا.. كيف حالك اليوم؟ أعذر تقصيري فيما وعدتك؛ فلقد تأخرت عليك كثيرًا، ولكن حزني كان أكبر من أن أتجاهله وأمر.

أما «عادل» فظل ينظر إليها في عشق، لم تستطع عيونه أن تبقيه أسيرًا بداخلها، فتركت له حرية الفرار، ثم انتبه فرد.

ـ لا عليكِ، كيف حالكِ أنتِ؟.

فأجابته في أسى خرج من عمق قلبها وروحها البائسة:

ـ كيف سيكون حالي.. فأنا غارقة في دوامة من الظلام لن أستطيع النجاة منها.

فرد في انزعاج شديد على الفور:

ـ كيف أخبريني؟

فدهشت من ردة فعله تلك؛ فهي ردة فعل مبالغ فيها من شخص غريب، لا يعرفها ولا تعرفه حتى الآن ثم تمتمت:

ـ لا عليك...

ثم صمتت محدثة نفسها:

ـ عجبًا لهذا الشخص! كيف يحدثني باهتمام هكذا؟ وكيف تنظر إلي عيناه وكأنه يعرفني حق المعرفة؟! كما أن صوته كثيرًا يشبه صوت «عادل»، لا، يبدو أنني أتوهم من شدة اشتياقي لـ «عادل»، نعم أتوهم...

انتبهت على صوته وهو يقول:

ـ لا تؤاخذيني، إنما أردت التخفيف عنكِ ومساعدتكِ هذا كل شيء.

فابتسمت قائلة:

ـ أعرف ذلك،على أية حال أرى أن جروحك قد بدأت تطيب، فأنت الآن أفضل حالاً مما رأيتك عليه من ذي قبل.

فرد مبتسمًا:

ـ الحمد لله...

فاندهشت!! لقد نطقها باللغة العربية العامية.

فنظر إليها في ارتباك، لاحظ دهشتها، وأراد أن يخفى زلة لسانه فقال:

ـ لقد أخبرتكِ بأنني إيطالي من أصل عربي كما أنني مسلم.

فتبسمت قائلةً:

ـ عظيم إذاً سوف نصبح أصدقاء.

فرد في سعادة:

ـ أجل

أخذت «سيلا» تقترب من «جوزيف» يوم بعد يوم، تزوره وتهتم لأمره، وكان هو بدوره في قمة سعادته، فحب عمره الذي حرم منه، قد أعاده الزمان إليه ليكافئه على ما تحمله من آلام ومعاناة وظلم، ولكن للأسف، هو وحده من يعرف؛ إنما هو بالنسبة إليها، مجرد صديق بحاجة إلى مساعدة، ولكن لا يهم، فالمهم إنه يراها بقربه، يتنفس عطرها، يملأ عينيه منها، ومر شهر وآخر وثالث، كان «ياسين» خلال هذه الأشهر ينفذ مخططاته الشيطانية.

وفي أحد الأيام دخل والد «سيلا» إلى مكتبه كالمعتاد؛ فوجد «ياسين» جالسًا مكانه واضعًا قدمه على المكتب، فلما رآه هكذا اندهش ثم علق غاضبًا:

ـ ما هذا؟ ماذا تفعل هنا؟.

فرد «ياسين» في لا مبالاة:

ـ كما ترى أجلس على مكتبي...

ـ مكتبك؟ أجننت أنت؟ هيا انهض من هنا اذهب !!

ـ انتبه لكلماتك فأنت تتحدث مع صاحب الشركة!

ـ صاحب الشركة؟ أجننت؟؟ حقًا جننت!!

ـ قلت لك تحدث بأدب مع مديرك وصاحب الشركة، فلقد بعت أنت لي الشركة والفيلا والجريدة والأموال وكل شيء، فيما عدا فرع أمريكا لأنه باسم «سيلا»، ولكن لا يهم فقريبًا سيكون هو الآخر ملكا لي...

ـ كيف ذلك؟ أنا لم أفعل ذلك؟ أنت محتال، هيا اخرج من هنا وإلا سوف أستدعي لك الأمن !

انتظر فالأمن قد يأتي إليك ليطردك خارجًا الآن... هاك العقود وعليها توقيعك، أو ليس هذا توقيعك؟ تستطيع أن تلجأ إلى النيابة والمحاكم لتشتكيني، ولكن العقد سليم ثم ضحك ضحكاته الشيطانية... أصيب والد «سيلا» بالذهول التام.

من هذا الذى يراه أمامه؟ وما هذا الوجه الشيطاني البشع؟ أهذا ما كانت تحاول «سيلا» كشفه لهم وكانوا ينكرونه عليها؟سقط والد «سيلا» طريحًا على الأرض وقد فارق الحياة في لحظتها، فلم يستطع قلبه أن يتحمل هذه الصدمة، ولما علمت «سما» وأمها بالخبر المفجع، انهارت الأم فأصيبت بالشلل جراء الصدمة العصبية، وعندما واجهت «سما» الشيطان بفعلته، لم ينكرها بل أكد على أنه فعلها بدم بارد، واستولى على أموالهم، بل وتسبب في موت أبيها، والأفظع أنه من قتل «ياسر»، والأشد بشاعة هو إنه يعشق «سيلا»، وكل ما فعله من أجل الحصول عليها، وأن «سما» ما هي إلا عقبة في طريقه، ليصعد من خلالها إلى معشوقته؛

فلم تتحمل المسكينة رؤية هذا الوجه، فأصيبت بانهيار عصبي شديد، أودعت بسببه في مشفى للأمراض العصبية والنفسية، هكذا سقط القناع عن أبشع وجه يمكن لبشر أن يراه، كل هذا حدث و«سيلا» لم تكن تعلم بعد، حتى أتاها الخبر من أمها وهى مع «جوزيف» في المشفى عندما كان يستعد للخروج، بعد أن تمت له جميع العمليات التجميلية، وما تبقى من العلاج سوف يستكمله في المنزل، الذى ساعدته «سيلا» في العثور عليه، وكان بجوار منزلها مباشرة، فتلقت الخبر من أمها على الهاتف بموت أبيها، وما حدث لأختها وما فعله الملعون بهم، فلم تنطق بحرف، وخرت مغشيًا عليها من هول ما سمعت، ففوجئ «عادل» بها على هذه الحالة وأخذ يصرخ:

ـ «سيلا» ما بكِ؟ أجيبني !

تُرى ماذا سيحدث؟

الفصل السابع عشر

أنا لا أراكَ بعيني
بل أستشعرك بروحي

سقطت «سيلا «مغشيًا عليها إثر صدمتها البشعة؛ فلقد فقدت أبيها وأختها وأمها؛ فقدت كل ذي معنى في حياتها، سلبها إياه ذلك الحقير بمنتهى القسوة والوحشية، نفذ مخططه ليلتف كالأخطبوط حول فريسته، أخذ «عادل» يصرخ عليها محاولاً إفاقتها، حتى استعادت وعيها رويدًا، وهي في منتهى الذهول! فنظرت إلى عادل الذي كان ينظر إليها بكل لهفة وفزع، قرأت في هاتين العينين العاشقتين، نظرات كانت تعهدها قديمًا هي ذاتها، قد يُخلق من الشبه أربعين، ولكن النظرات هي واحدة لا شبيه لها؛ فمستحيل أن يكون ما قرأته هذه المرة وهمًا، وحينما لاحظ بأن عينيها تقتحمان

عيونه، لتفتش عن صاحبها فتقرأه بكل وضوح، نأى بناظريه بعيدًا عنها ثم قال:

ـ أيها الطبيب، أسرع من فضلك.

عاد إليها متابعًا:

ـ ما الذي حدث؟ أخبريني؟ فلقد متُّ فزعاً عليكِ.

فأجابته وهي تبكي في هستيريا:

ـ أبي، لقد مات أبي، لقد قتله المجرم وسرق أموالنا، لقد أصاب أمي بلعنته، وأسكن أختي مشفى الأمراض العقلية، لقد دمر حياتي.

أخذت تبكي في انهيار شديد؛ فقام بمعانقتها بشدة محاولاً تهدئتها، فالأمر جد مريع، بداية فقدت زوجها والآن أباها، وكل ما تملك، صدمات قاسية قاسمة، لا يتحملها قلب بشر، فما بال قلب «سيلا» الرقيق أنى له بتحمل كل هذه اللعنات، ثم قال في تأثر:

ـ من؟ من فعل بكِ هذا؟

فأجابته بصوت متقطع تخنقه العبرات:

ـ إنه... زوج أختي «ياسين» ذلك الملعون...

فرد في ذهول فور سماع اسم «ياسين» قائلاً:

ـ من؟

قالت: زوج أختي!!

فقاطعها متسائلاً:

ـ «ياسين»... اسمه ياسين؟

فأجابت في تعجب:

ـ أجل... «ياسين»! لماذا تسأل هكذا وكأنك تعرفه؟

فرد متلعثمًا:

ـ لا لا وأنى لي معرفته؟ لقد لفت نظري اسمه، فهو غريب بعض الشيء.

فأجابته وهي تبكي:

ـ هو اسم شائع لدينا نحن العرب، لقد...

وتابعت:

ـ أبي العزيز، لماذا لم تصدقني؟ لماذا لم تصدقوني جميعكم؟ أخبرتكم بأنه شيطان، حذرتكم من شروره وظلامه.

أتم «عادل» إجراءات خروجه، ثم أخذ «سيلا» وذهبا ليقلها إلى منزلها، فكم كانت منهكة ومتألمة، فما عايشته رهيب كانت بحاجة إلى الراحة وخاصة بعد ما أعطاها الطبيب حقنة مهدئة؛ فاصطحبها إلى منزلها وساعدها حتى وصلت إلى فراشها؛ فنامت فورًا من شدة الإنهاك وتأثير المخدر.

جلس «عادل» بجوارها ينظر إلى وجهها الملائكي الذي أنهكه الحزن والألم ثم تنهد قائلاً:

ـ آه يا حبيبتي، كنت أظن بأنني وحدي الذي كتب عليه الألم والعذاب، وأن ما عايشته لم يعايش بشر، ولكن نصيبكِ من الألم والعذاب كان الأكبر... آه يا حبيبتي،

فكم عانيت في السنوات القليلة الماضية؛ فمصيركِ كان ومازال وسوف يظل مرتبطًا بمصيري، فلقد قدر الله لنا أن نلتقي، بعد أن فقد كل منا الأمل في العثور على الآخر، ولكن، يجب علي أولاً معرفة كل ما حدث لك منذ أن تركتك وحتى هذه اللحظة.

ثم أغمض عينيه واتكأ برأسه على ساعديه، وهو جالس على مقعده بجوار فراشها؛ فنام هو الآخر، فلقد كان نصيبه من الإنهاك والألم هو الآخر لا يقل عن «سيلا» أن كان لا يفوقها.

بعد دقائق...

فتحت عينيها بهدوء؛ فوجدت «جوزيف» نائمًا على مقعده بجوارها؛ فتفحصت ملامحه عن كثب، كم هي ملامح وسيمة للغاية، هي لم ترها من قبل، ولكن تتوارى خلف هذه الملامح روح خفية، تشعر بها بكل جوارحها، تشعر بالأمان معها، كأنها روح تعرفها تمام المعرفة، وكأنها جزء من روحها هي، غريب ما تشعره تجاه هذا الغريب، ثم عادت للنوم مرة أخرى، وعندما استيقظت كان «جوزيف» قد استيقظ قبلها، فأعد لها الغداء وانتظرها وكانت متعبة للغاية لم تقو على النهوض بمفردها؛ فأخذت تترنح وكادت أن تسقط، فهب «عادل» لمساعدتها حتى أقعدها على مقعد الطاولة ثم قال:

- عزيزتي...هيا تناولي فطورك، ثم أخبريني بما حدث بالتفصيل، وأنا الآخر سوف أخبرك بكل شيء عني

بالتفصيل، ومثلما أنتِ لديك ثأر مع هذا المدعو «ياسين»، أنا أيضًا لدي حساب مع من فعلوا بي هذا، والكل سوف يدفعون حساب أفعالهم واحداً تلو الآخر.

بدأت «سيلا» تسرد على «عادل» حكايتها، منذ أن عشقت حبيبها الوحيد «عادل» وما حدث له، ثم دخول الشيطان إلى حياتهم وإحالتها إلى جحيم، أخبرته بأمر «ياسر» المسكين الذي لم يكن لها زوجًا أبدًا، إنما كان لها نعم الأخ والصديق.

جلس ينصت إليها ولكم كان سعيدًا بسماعه، أن «ياسر» لم يكن لها زوج وبأنها مازالت على عهدها معه، حتى وهو بعيد عنها، فهي أبدًا لن تكون لرجل سواه، أراد أن يضمها إلى قلبه ويقبلها، ويخبرها بأنه هو «عادل» حبيبها الوحيد، ولكنه صمت؛ فكيف سيحكي لها هذا الأمر؟ كيف سيقنعها بأنه هو «عادل»؟ فاسمه لم يعد له وجود، كما أن وجهه هو الآخر لم يعد له وجود، بالأصح «عادل» نفسه لم يعد له وجود كإنسان، فهو أضحى روحًا تتوارى خلف وجه شخص آخر، وبعد أن سمع حكايتها علق قائلاً:

ـ آه يا عزيزتي، فما عانيته مؤلم للغاية، ولكني أعدكِ بأنني لن أتركِكِ، وسوف أظل بجوارِكِ حتى تستردي كل حقوقكِ من ذلك الحقير، وسوف يدفع ثمن كل خطاياه وشروره، أعدكِ بذلك.

فابتسمت في أسى قائلة:

ـ وماذا عنكَ؟ ألن تخبرني بقصتك.. أراكَ تتحدث العربية بطلاقة كما أن صوتك مألوف لدي فهو يشبه صوت «عادل» إلى حد كبير، وهذا ما جذبني إليك.

ـ عفوًا.. لا تغضب، ولكني لا أرى في الكون سواه، هو فقط حتى وهو بعيدًا عني ولا أعرف أين هو.. ولا ماذا يفعل؟ ربما يكون قد نسيني وأحب غيري بعد كل تلك السنين.. ربما تزوج؟ ربما.. ربما فمنذ أن اختفى، وكأن روحي وقلبي تبعاه فتركاني وحيدة، كما تركني هو، غادرانِي إليه، فضلاه علي...

كل هذا الحوار قائم، و«عادل» في صمت مطبق، ولكن عيناه تصرخ تخبرها بأنه هو «عادل» حبيبها لم ينسها، هو يعتني بروحها وقلبها، يخبئهما في عمق قلبه؛ فقرأت هي كل هذه الرسائل بوضوح، وأخذت نبضات قلبها تتسارع، تدق بشدة لتوقظها، لتخبرها بأن من يجلس أمامها هذا هو «عادل»، ولكن كيف يكون هذا الغريب هو عادل؟ أين وجهه؟ ملامحه المحفورة بذاكرتها؟ لا...لا أنها تتخيل من شدة احتياجها لـ«عادل» بعد لحظات من حديث العيون هذا، قاطعه «عادل» قائلاً:

ـ وأما حكايتي فلها العجب، ولكني مجبر على أن أخبركِ.. لم أعد استطيع إخفاءها عنكِ مهما كانت قاسية وغير منطقية، «سيلا» أنا.. «عادل»

فنظرت إليه في صدمة وصمتت للحظة كانت فارقة بين عقلها وقلبها، بين عقل يرفض استيعاب ما يراه، وقلب يؤمن وبشدة بصدق ما سمعه، ثم بعد لحظات من الصمت، أقبلت عليه تعانقه وهي تبكي قائلةً:

ـ كنت أعرف.. فلقد أخبرني قلبي، أخبرتني عيونك، ولكن كيف.. كيف تكون أنتَ عادل... أين وجهك الجميل؟ ماذا حدث له؟

فقاطعها في حنان وهو يبكي قائلاً:

ـ سوف أخبركِ بكل شيء يا حبيبتي، وقص عليها حكايته كاملة، منذ أن هرب من السجن، وما فعله به الشيطان، كل شيء أخبرها به حتى هذه اللحظة التي يجلس فيها أمامها.

فصعقت من هول ما سمعت! وكأنها تعيش إحدى قصص الرعب الخيالية، فعانقته في حنان قائلةً:

ـ لا تحزن يا حبيبي، لا يهم وجهك أو اسمك، فأنا لا أراكَ بعيني بل أشعرك بروحي.

تُرى ماذا سيحدث؟

الفصل الثامن عشر

البادئ أظلم

بعد عناق دام طويلاً، وكأنه يسترد بقوة من الدنيا ما سلبته منهما منذ سنوات، عناق خالطته دموع فرح، هي نفسها دموع الحزن والأسى، الأمور كلها متداخلة الفرح مع الحزن، الألم مع السعادة، استطرد «عادل» قائلاً:

- حبيبتي آن أوان انتقامنا من ذلك الشيطان، فيجب أن يعاني كل لحظة ألم عانيت منها أنا وأنتِ، أعدك بأنه سيدفع ثمن جرائمه كاملاً، ولكن علينا التفكير بهدوء، أولاً، يجب عليكِ استدعاء أمكِ لتعيش معك هنا؛ فلم يعد لديها أحد يرعاها، وأعلم بأن ذلك الحقير لن يتركِكِ، فهو يفعل كل هذا بالأساس للفوز بكِ، ولكن

هيهات... هيهات دعينا نضع خطة محكمة للتخلص منه، بدايةً سوف أعود إلى إيطاليا، فيجب علي تصفية بعض الحسابات مع من فعلوا بي هذا، وأيضًا علي الاهتمام بإخوتي وإقناعهم بوجهي الجديد، فحتمًا ستكون صدمة لهم ولا أعرف كيف سيتقبلونها؟ إذا كنت أنا نفسي ما زلت لا أستطيع تقبل نفسي؛ فكلما نظرت في المرآة أرى شخصًا أخر، أبحث عني فلا أجدني، أشعر بروحي، إنما وجهي ملامحي، أشعر بأنها لغريب وليست لي..على أية حال، ربما خير ما فعله الله بي.. ربما منحني السلاح القوي،الذي سأهزم به الشيطان من يدري؟

سوف أسافر إلى مصر كرجل أعمال إيطالي، يبحث عن شريك قوي لإقامة شراكة دولية، وأعتقد بأن ذلك الحقير لن يمانع، بل سوف يرحب بشدة بشراكتي على أمل أن يكبر ويكبر، فأنا أعرفه تمام المعرفة لا يكتفي، هو دائمًا يطمع بالمزيد، لذلك سوف يجدها فرصة رابحة ليوسع نشاطه، ويكثر ماله وهذه هي الحلقة التي سوف أضعها حول عنقه، لإعدامه بها، ستكون نهايته على يدي؛ وعد علي حقًا.

فقاطعته «سيلا» في تردد وخوف قائلةً:

ـ ولكن هذا خطير يا «عادل»، أخاف عليك إن علم أن يصيبك بمكروه، إنه لا قلب له يقتل بدم بارد، يسرق..

يحرق...يدمر، كل ما ينتهي إليه طرفه، مظلم ظلاما حالكا، أخاف عليك فهو...

ابتسم قائلاً:

ـ لا تخافي يا حبيبتي، فـ»عادل» المسالم طيب القلب سليم النية لم يعد موجود، فمن سيتعامل مع الشيطان هو «جوزيف» الثري صاحب القوة والنفوذ، من يأمر فيطاع، لا تقلقي يا صغيرتي؛ فلن يصيبني أبشع مما قد أصابني، وأعدك بأن تكون النهاية سعيدة من أجلنا، ومؤلمة للغاية من أجله،.

كان هذا الحوار يدور بين «عادل» و«سيلا»، في حين أن «ياسين» كان مشغولاً عنهما بما هو أكبر؛ فلقد قام بتغيير اسم الشركة التي استولى عليها من والد «سيلا»، وغير نشاطها إلى النشاط السياحي؛ فهو يعلم بأن مجال السياحة مفتوح، ويمكن عن طريقه كسب المزيد والمزيد من الأموال وبطرق مشروعة وغير مشروعة، لا يهم، المهم المال، كما إنه أرجأ أمر طلاق «سما» إلى أن يحصل على الوديعة، التي وضعها والدها لها قبل أن يستولى «ياسين» على ثروته، فلقد وضع لـ»سما» وديعة بـ «مليوني جنيه» في أحد البنوك، ولأن «ياسين» أقسم على أن يأخذ كل شيء، فلم يتخذ إجراءات الطلاق حتى يتحصل على الوديعة، والتي يحين موعد فكها بعد عام من الآن.

قام بشراء منتجع سياحي في شرم الشيخ، ثم ذهب إلى والديه لأخذهما للعيش معه، فحدثهما بتعال وتكبر قائلاً:

ـ لقد أتيت لأخذكم للعيش معي في الفيلا، فمن العار أن يقول الناس أن والدي «ياسين» يعيشان في هذه الحظيرة؛ فلقد أصبحت رجل أعمال غني ولي اسمي في السوق، ولن أدع شيئًا ينال من سمعتي.

فقاطعه والده في حدة وغضب شديدين قائلاً:

ـ اذهب بمالك الحرام، فنحن لسنا بحاجته، وأعلم بأنك منذ اللحظة لم يعد لك أب أو أم أو حتى إخوة، لم أنشئك على الحرام لتأكل أموال الناس بالباطل، هيا اخرج من منزلي الشريف، فلا مكان لقذر مثلك فيه.

غادر متأففًا حانقًا قائلاً:

ـ كما يحلو لكم، لقد أردت أن أنعمكم في خيري، ولكنكم لا تستحقون النعمة.

لطم الباب خلفه؛ فبكت أمه قائلةً:

ـ ماذا فعلت أنا بهذا الفتى؟ لم أكن أتوقع أن حبي له وتفضيله على نفسي، سوف يجعله بهذا القبح، كنت أريد أن أجعله سعيدًا بقدر استطاعتي، لم أعلم بأنه سوف يكون نبتًا شيطانيا بهذا الشكل البشع.

فرد الأب في خزي وحزن قائلاً:

ـ لله الأمر لقد استعوضت الله فيه.

كان «ياسين» يعلم علم اليقين بأن «عادل» يومًا ما سوف يعود لينتقم منه، خاصة بعد أن ذهب إلى إخوة «عادل» ولم يجد لهم أثرًا؛ فعلم بأن «عادل» قد أخذهم معه واختفوا جميعًا، تمهيداً لعودة انتقامية شرسة، لذلك قام بعمل حساب هذا اليوم، فلقد جهز بركة في فيلته بالمنتجع السياحي خاصته، وأحاطها بالسياج والحديد، ووضع بها ثلاثة تماسيح، من أشرس أنواع التماسيح في العالم؛ فلقد أعدها خصيصًا لتكون مقبرة لـ»عادل» حين يعود؛ فسوف يكون طعام شهياً لهؤلاء التماسيح الشرسة، وبالفعل بدأ كل من «عادل» و«سيلا» في تنفيذ خطتهما؛ فأرسلت «سيلا» في طلب أمها لتعيش معها بأمريكا، ولكنها لم تستطع أن تأخذ أختها «سما» لأن «ياسين» اعترض ورفض سفرها بصفته زوجها، أما «عادل» فقد عاد إلى إيطاليا وبعد معاناة شديدة، استطاع أن يقنع إخوته بأنه هو «عادل» رغم وجهه المختلف.

ذهب إلى الشركة وقام بتقديم كافة المستندات، التي تثبت تورط الأخوين في الفساد واختلاس أموال الشركة، فلقد أمر محاميه بجمع الأدلة خلال الفترة السابقة، وبالفعل تم القبض على الأخوين وإيداعهما في السجن، أما «عادل» فقد باع الشركة وجمع كل أرصدته بالبنوك، وأخذ إخوته وسافر إلى أمريكا، ليكون بالقرب من «سيلا» وليبدأ في تنفيذ مخططه؛ فلقد أنشأ شركة سياحية كبيرة بأمريكا، وقرر أن يسافر إلى مصر لتبدأ أولى خطوات خطته.

تُرى ماذا سيفعل؟!

الفصل التاسع عشر

الفأر في المصيدة

سافر «عادل» إلى مصر وتحديدًا إلى شرم الشيخ، فبعد أن علم أن «ياسين» قد قام بتحويل نشاطه إلى السياحة، وتم جمع كافة المعلومات عنه، وعن مكان إقامته بالمنتجع بشرم الشيخ، أصبح الأمر يسيرًا؛ فذهب إلى منتجع «ياسين»، وقام بالنزول في الفندق الخاص بالمنتجع، على أنه سائح إيطالي الجنسية، ثم أخذ يتجول هنا وهناك، بمظهره الأنيق الفخم، وبصحبته حاشيته من الحراس، فعلم «ياسين» بأن هذا الشخص هو شخص مهم، فهو ثري للغاية.

قام بالذهاب إليه بنفسه للترحيب به محدثًا إياه بالإنجليزية:

ـ مرحبًا... أتمنى لك إقامة مريحة وممتعة بفندقي المتواضع، معك «ياسين» صاحب هذا المنتجع

والفندق وكل شيء هنا، فابتسم «جوزيف» وهو يصافحه بعد أن مد له «ياسين» يده ليصافحه قائلاً:

ـ مرحبًا...المكان هنا ساحر بالفعل، فلكم أحببته كما أنني سعيد بهذا الجمال الساحر، أحييك على منتجعك الرائع.. أنا «جوزيف» رجل أعمال إيطالي مقيم بأمريكا، ولدي شركة سياحة كبرى مركزها بأمريكا.

فتهللت أسارير «ياسين» ورد على الفور:

ـ حقًا؟ مرحبًا مرحبًا يبدو بأننا سوف نتفق جيدًا.

ثم ضحك، فابتسم «جوزيف» ثم هم بالانصراف قائلا:

ـ ربما.

تاركاً «ياسين» يلهث بطمعه في اغتنام هذه الفرصة التي هبطت عليه من السماء، فحدث نفسه قائلاً:

ـ ماذا لو أقنعت ذلك الثري المدلل بأن يشاركني؛ بالطبع سوف يتسع نشاطي وستزيد أموالي، يجب علي عدم تفويت هذه الفرصة مطلقًا.

أما «عادل» فقد فرح بأن الطعم الذي ألقاه، التقطه الفأر على الفور، وبسرعة البرق، جلس على الشاطئ في استجمام وهو يتابع «ياسين» من خلف نظارته السوداء، وكيف أن «ياسين» لم يحد ببصره عنه منذ أن فارقه، وبعد مضى نصف ساعة وهما على نفس الحال، أشار «عادل» إليه بيده أن يأتي فأتاه لاهثاً مرحبًا فقال «عادل»:

ـ أرى أن الجو والمناظر الطبيعية لديكم هنا في منتهى الروعة، مما أثار فضولي في أن أقوم بعمل هنا ما رأيك؟

فأجابه على الفور:

ـ نعم التفكير والرأي الصائب،إذًا ما رأيك بمشاركتي في هذا المشروع، فأنا بحاجة إلى صديق مخلص هنا في مصر يدير الأمر، لأن عملي الأساسي مقره أمريكا.

فأجابه بلهفة:

ـ أنا لها، لا تحمل همًا.

ابتسم عادل ثم قال:

ـ اذًا فلتبحث لنا عن مكان أكبر من ذلك، لأنه عفوًا، منتجعك صغير بالنسبة لشركتي، ولا يتناسب مع سمعتها ومستواها الدولي؛ فيجب علينا التوسع أكثر من ذلك.

فرد «ياسين» وقد ملأت نظرات الطمع عيناه قائلاً:

ـ حسنًا؛ فلنقم بتوقيع عقود الشراكة وبالمال الذي سوف ترسله سوف أقوم بالتوسعات اللازمة.

فرد «عادل» بابتسامة غامضة:

ـ حسنًا، ولكن علي الإرسال في طلب المحامي خاصتي، ليكون هنا غدًا ولنتم الصفقة.

ـ اتفقنا.

عاد «ياسين» إلى غرفته وهو في شدة السعادة، فلقد فاز بصفقة العمر كما يدعوها، سيشارك رجل أعمال أجنبي، ولا يهم لديه إن كان إيطاليًا أو أمريكيًا أو حتى إسرائيليا، المهم المال والمال فقط. أما «عادل» فقد هاتف «سيلا» وأخبرها بأن الفأر دخل المصيدة بقدميه، ولكنها كانت خائفة؛ فحذرته بأن يأخذ كافة احتياطاته، فطمئنها.

في اليوم التالي حضر المحامي وتمت إجراءات عقود الشراكة، وكان «ياسين» في قمة سعادته، بينما «عادل» كان يفكر في كيفية الانتقام من ذلك القذر، وكيف يعيده فقيرًا معدمًا كما كان، قرر عدم مغادرة شرم الشيخ حتى ينتقم منه، ومكث شهرًا واثنين يتابع إجراءات التوسع مع «ياسين»، الذي أخذ يقترب من «جوزيف» يومًا بعد يوم؛ فأصبح يثق به ويتودد إليه، كل هذا قد شغله عن «سيلا» لبعض الوقت، ولكنه أبدًا لم ينسها للحظة فكل ما يفعله هذا ليكون قويًا، وذا نفوذ ليخضعها له.

فهاتفها قائلاً:

- حبيبتي «سيلا»؛ لقد افتقدتك كثيرًا، ولكن لا تقلقي فقريبًا سوف أكون بجوارِكِ، فمهما فررتِ مني ستعودين إلي...

قطع الحوار بضحكات شيطانية؛ فأغلقت الهاتف في وجه؛ فازداد رعبًا؛ فقامت بأخبار عادل بهذه المكالمة القذرة، ولكنه طمأنها بأن الفرج قد اقترب، خاصة وأن الفأر قد أحكم المصيدة

على نفسه بنفسه، وذلك حينما طلب من «جوزيف» أن يشاركه أيضًا في شركته الأم بأمريكا، ولكن «جوزيف» رفض في البداية، وبالطبع هذا الرفض ما هو إلا طعم جديد، ليزيد من إصرار الفأر على دخول المصيدة.

فقال «ياسين»:

- عزيزي «جوزيف».. لماذا لا تشاركني في شركتك بأمريكا؟؛ فسوف يكون المكسب مشتركًا، أنت ستكسب سوقًا جديدة في مصر، وأنا سوف أكسب سوقاً عالمية، وهكذا المصلحة متبادلة، والمنفعة مشتركة.

فابتسم «جوزيف» في دهاء ثم رد:

- حسنًا، ولكن هل تستطيع دفع مبلغ الشراكة يا صديقي العزيز؟ هل تعلم كم يبلغ رأس مال شركتي يا ترى؟ أعتقد أن الأمر أكبر منك بكثير.

فقاطعه «ياسين»:

- مهما يكن سأدفعه لا تهتم، المهم أن تقبل الشراكة.

فابتسم «جوزيف» ثم رد في هدوء وهو ينفخ دخان سيجارته في وجه «ياسين» قائلاً:

- حسنًا مبلغ الشراكة الذي أريده خمسة ملايين دولار، هل يمكن أن تدبره يا ترى؟

صعق «ياسين» فور سماعه المبلغ فهو ليس لديه كل هذا المبلغ سيولة، المبلغ جد ضخم، ولكن هو يسعى إلى أن يستولي على الشركة بأكملها، بالنصب والاحتيال كما فعل من قبل مع والد «سيلا»، إذاً فالخمسة ملايين دولار ليست بمبلغ مقابل الشركة ككل، فتمالك نفسه ثم ابتسم قائلاً:

ـ سوف أتصرف يا عزيزي، لا تشغل بالك فالخمسة ملايين دولار سوف يكونون بحوزتك في القريب، فسوف أقوم باقتراض المبلغ من البنك بضمان ممتلكاتي.

ابتسم «عادل» ابتسامة زهو وانتصار، حين سمع «ياسين» يخبره بأمر القرض هذا، فحقاً هذا القرض هو حبل المشنقة الذى سيلفه «ياسين» بطمعه حول عنقه ليشنق نفسه بنفسه ثم قال:

ـ حسنًا وأنا في انتظارك، فور توفر المبلغ سنقوم بعقد الشراكة فورًا.

فرح «ياسين» بهذه الصفقة؛ فطموحه أكبر من الشراكة هو يريد الشركة الأم بأمريكا، ويريد أن يكون بجوار «سيلا» التي فرت منه إلى أمريكا، ستجده أمامها في كل مكان، وفي كل لحظة، فلعنته لن تتركها حتى الموت، هكذا ظن هو في مخيلته.

اقترض «ياسين» المبلغ، من البنك وأحضره إلى «جوزيف»، وتم الاتفاق على توقيع العقود؛ فوقع «ياسين» العقود بسعادة بالغة، فلقد وصل أخيرًا إلى غايته، ولم يتبق على حلمه سوى خطوة كما

يظن، في نفس اللحظة التي ابتسم فيها «عادل» ليوقع هو الآخر على صك الخلاص من ذلك الحقير، وكان «عادل» يحتسي فنجانًا من القهوة أثناء توقيع العقود، وعندما هم «عادل» بالتوقيع؛ سقط فنجان القهوة من يده؛ فانسكب بالكامل ليغرق العقود جميعها، وهنا انزعج «ياسين» وأسرع يجفف الأوراق ببعض المناديل الورقية، وهو يتمتم في غضب متأففًا:

ـ ضاعت العقود، وتلفت بالكامل.

في حين أن «عادل» اعتذر قائلاً:

ـ عفوًا يا شريكي العزيز، لقد حدث بالخطأ، على أية حال، لنرجئ هذا الأمر لوقت آخر إلى أن يعد المحامي نسخة جديدة من العقود.

فرد «ياسين» في ضيق بدا جليًا على ملامحه:

ـ مازلنا ننتظر؟

هنا تدخل محامي «عادل» قائلاً في هدوء:

ـ لا داعي للانزعاج.

أخرج من حقيبته نسخة جديدة من العقود وهو يتابع:

ـ أنا دائماً احتفظ بنسخ احتياطية تحسبًا لأي موقف قد يطرأ.

هنا تهللت أسارير «ياسين»؛ فأخذها من يد المحامي في لهفة لم يخفها، وهو يقرأ الورقة الأولى منها بعينيه في خبث وسرعة ثم قال:

ـ هيا يا شريكي؛ فلنوقع، لا داعي للتأجيل.

ابتسم «عادل» ثم رد في هدوء وثقة قائلاً:

ـ لن أوقع اليوم، أرى أنك بحاجة إلى قراءة العقود مرة أخرى؛ فلتأخذ وقتك، لا داعى للعجلة، لنوقع غدًا.

أسرع «ياسين» يوقع بأقصى سرعة على كل الأوراق، ورقة تلو الأخرى في عجلة، ليجبر «عادل» على التوقيع، بعد شعوره بأن «عادل» ربما يريد التملص من هذه الشراكة، ثم قال:

ـ هاك جميع العقود موقعة مني، والدور دورك الآن يا شريكي العزيز، هيا وقع ولننه هذا الأمر الليلة؛ لنستعد للاحتفال بالشراكة.

أخذ «عادل» القلم ووقع هو الآخر قائلاً:

ـ كما تحب يا شريكي العزيز، لننهي هذا الأمر الليلة.

أخذ «ياسين» نسخته من العقود واحتفظ «عادل» بنسخته هو الآخر، وبعد ليلة احتفال قصيرة، انصرف كل منهما لحاله، ودخل «عادل» جناحه بالفندق، ثم أخذ ينظر إلى العقود ويبتسم ابتسامة زهو وانتصار، وأخرج من بين العقود ورقة، أخذ يقبلها في سعادة عارمة وهو يتمتم:

ـ مرحباً بكِ أيتها الصديقة.

تُرى ما حكاية هذه الورقة؟

الفصل العشرون

نهاية اللعنة

كانت هذه الورقة، هي صك الخلاص من الشيطان هي التعويذة التي ستفك لعنته؛ فلقد قام عادل بكتابة إقرار ضمن العقود كان هذا الإقرار هو تلك الورقة التي وضعها «عادل» بين أوراق العقود، حينما تم استبدالها من قبل المحامي، أجل فلقد كانت مسألة القهوة مقصودة، وكانت الخطة كما تمت حرفيًا، دون زيادة أو نقصان، هذا الإقرار كان نصه:

«أقر أنا الموقع أدناه، وأنا بكامل قواي العقلية، بأنني أتنازل عن كل ثروتي من ممتلكات وعقارات، للمدعو «جوزيف»، وذلك بعد أن تقاضيت المقابل المادي لجميع ممتلكاتي، والتي قدرت بمبلغ وقدره عشر ملايين جنيه مصريًا فقط لا غير... وهذا إقرار مني بذلك المقر بما فيه، «ياسين عبد الرحمن عبد الغني».

ثم كان توقيعه الحي بأسفل هذا الإقرار المخفي؛ فأصبح إقرارًا رسميًا سوف يتحفظ بموجبه على كل شيء اغتصبه ذلك المجرم الحقير، لم يتمالك «عادل» نفسه من الفرحة بانتصاره؛ فأراد أن يخبر «سيلا» لتسعد هي الأخرى وتشاركه سعادته، فهاتفها قائلاً:

- مرحبًا حبيبتي «سيلا»، لدى بشرى سارة للغاية، لم أستطع أن انتظر للغد؛ فأردتك أن تشاركيني سعادتي، نعم لقد تمت الخطة بنجاح، لقد وقع الأحمق على العقد، وقع على وثيقة إعدامه، لا تخافي لم يعرفني، هو يعرفني على أنني «جوزيف» والفضل يرجع إليه؛ فهو الذي محى «عادل» من الوجود بيديه، فكيف له أن يعرف بأنني «عادل» بعد أن تبدل وجهي بوجه شخص آخر، اطمئني يا حبيبتي، فغدًا هو يوم الفصل، يوم القصاص، غداً كل امرئ بما كسب رهين، وكل يجازى بما فعل، غدًا ستعود إليكم حقوقكم المنهوبة، غدًا سنتخلص من الشيطان ومن لعنته، غدًا سيكون لنا أعدك بذلك، لا تخافي يا حبيبتي، بل افرحي واستعدي لعرسنا، الذى تأخر لسنوات بفعل ذاك الحقير، هيا تصحبك السلامة..

أنهى حديثه ثم استلقى على فراشه وهو في سعادة غامرة، ولكنه لم يكن يدري بأن هناك من سمع كل حديثه هذا بالتفصيل، كان هو الشيطان نفسه «ياسين» سمع كل كلمة تفوه بها «عادل»؛

فلقد كان يتحدث مع «سيلا» بالعربية، لم يكن «عادل» حريصًا بما فيه الكفاية؛ فسعادته بقرب التخلص والانتقام من «ياسين» جعلته يخطئ ويتسرع، ولكنه لم يكن يعلم بأن «ياسين» قد أمضى تلك الليلة بالجناح المجاور له؛ فلقد ظن بأن «ياسين» عاد إلى منزله بالمنتجع كالمعتاد ولم يكن يظن بأنه سوف يمضي الليلة بجواره في الفندق، ولكن لسوء حظ «عادل»، حدث وأمضى «ياسين» ليلته بالجناح المجاور لجناحه، وكان يجلس في الشرفة يستمتع بالنظر إلى العقد، ويحلم بما سيفعله من الاستيلاء على كامل الشركة، وأثناء ذلك، سمع مكالمة «عادل» كاملة فصعق؛ فهو لم يكن يتوقع أبدًا ما سمعته أذناه، حدث نفسه في ذهول قائلاً:

«كيف يكون هذا «عادل»؟ نعم هذه نبرة صوته كيف أغفلتها.. ولكن ماذا حدث؟ وكيف بدل وجهه؟ هل ما سمعته حقًا؟ لا... لا مؤكد أنا أتوهم... ولكن كيف أتوهم؟ لقد سمعت كل كلمة بأذني وهو يتحدث إلى «سيلا»، يعدها بأن يتخلص مني وأن يكون لها... ولكن هيهات هيهات، لن أسمح بقربهما من قبل، ولن أسمح به الآن، فـ«سيلا» ملك لي شاءت أم أبت؟ وهذا الفارس الهمام جاء إلي بقدميه جاء إلى مقبرته، التي أعددتها له والتي لطالما انتظرته بلهفة عاشقة تنتظر عودة عشيقها، نعم.. صدقت يا «عادل»، فغدًا سيكون عرسك، ولكن ليس على «سيلا»، غدًا سوف أقدمك وجبة غداء شهية لتماسيحي، غدًا سوف أتخلص منك نهائيًا، عفوًا يا صديقي؛ فالحياة لا تتسع لنا مجتمعين في حياة

واحدة، إما أنا وإما أنت، وبالطبع سأكون أنا الفائز بالحياة.»

مرت ليلة و«سيلا» و«عادل» يحلمان بيوم الخلاص، و«ياسين» يعد الثواني ليتخلص من غريمه إلى الأبد، في صباح اليوم التالي، وبينما «عادل» يعد نفسه ليفجر القنبلة في وجه «ياسين»، أرسل إليه «ياسين» أحد رجاله؛ ليخبره بأن «ياسين» يعد حفلة صغيرة بمناسبة الشراكة هذه المرة في منزله، وبأنه يريد أن يرى شريكه أشياء خاصة لم يتطلع عليها أحدًا من قبل، سوف تبهره بما إنهما أصبحا شريكين وصديقين حميمين؛ قبل «عادل» بعد تردد ثم قال لنفسه:

«ماذا سيحدث؟ ففي كل الأحوال الصدمة سوف تلجمه، إن لم تكن ستقضي عليه نهائياً ليكن، سأذهب إليه.»

وبالفعل ذهب هو ورجاله، استقبل «ياسين» «جوزيف» بالترحاب الشديد كعادته المنافقة، ثم طلب منه أن يترك رجاله خارجًا مع رجال «ياسين»؛ فالحفل خاص بالشريكين وما سيطلعه عليه لا يجب لأحد آخر رؤيته؛ فقبل «عادل» وترك رجاله ودخل بصحبة «ياسين»، وكان «ياسين» قد أعد مائدة من الطعام عليها ما لذ وطاب،ولما دخل «عادل» اندهش من ديكورات الفيلا؛ فهي غامضة ومخيفة، تشبه الكهف من الداخل، الا انها قاتمة، وإضاءتها حمراء مؤلمة للعين غير مريحة جدرانها مليئة باللوحات الغامضة المقززة، صور عارية وشاذة، أما أركانها فمليئة بالحيوانات المحنطة، تشعر بالرهبة والرعب فور دخولك لهذا المنزل؛ فنظر

«ياسين» لـ»عادل» وهو يجوب بناظريه أنحاء المنزل، ثم ابتسم في خبث ودهاء قائلاً:

ـ أتمنى أن يعجبك الديكور، فأنا بالأساس خريج كلية الفنون الجميلة قسم ديكور، أعشق الأشياء الغامضة، ألا تحبها يا ترى؟ ألم يسبق لك وأن درست فن الديكور؟.. بالمناسبة ماهي دراستك؟

رد عادل في ارتباك واضح متظاهرًا بالثبات قائلاً:

ـ لا للأسف لم أدرس الديكور؛ فدراستي اقتصاد بالأساس.

ضحك «ياسين» ضحكة مرعبة، ثم قال:

ـ ليكن ! الاقتصاد، الديكور، السياسة، السياحة، كلها في النهاية تؤدي إلى نفس الطريق، ولا أحد يعمل بدراسته في هذه الحياة أليس كذلك؟

رد «عادل» بنفس الثبات:

ـ هو كذلك أصبت، فالحياة تجبرنا على ما تريده هي، لا تمتثل لما نريده نحن.

فضحك متابعًا:

ـ أحسنت صديقي العزيز «جوزيف».

أشار إليه «ياسين» ليجلس على المائدة؛ فجلس «عادل»، ولكنه بعد لحظات سمع أصواتا مرعبة تأتيه من يمينه؛ فنظر فإذا بها بركة التماسيح بجواره، يفصله عنها باب حديدي يغطي الأرضية،

والتماسيح أسفلها في البركة تهمهم؛ فارتعدت فرائصه لوهلة، ثم أشاح بنظره إلى «ياسين» الذى جلس أمامه يتفحص ملامحه في هدوء.

قال عادل:

ـ ما هذا؟ كيف تعيش بجوار هذه التماسيح المرعبة يا «ياسين»؟

ضحك «ياسين» ثم غادر مقعده لثواني، ونظرات «عادل» تتابعه في ترقب، ثم عاد ومعه قطة جميلة يداعبها بأطراف أنامله؛ فاندهش «عادل» من تصرفه هذا، ولكن «ياسين» لم ينطق بحرف، مر بجوار «عادل» وهو جالس في مقعده، ثم بعد أن قبل القطة وداعبها فجأة أسقطها من بين القضبان وهي حية للتماسيح، الذين التهموها حية وبوحشية؛ فزع «عادل» وأخفى وجهه بيديه وهو يصرخ:

ـ أنت مختل!! ماذا فعلت!! كيف تفعل ذلك بالقطة المسكينة التي اطمأنت إليك؟ أنت مريض... مريض !

فضحك «ياسين» ضحكاته المريضة المرعبة وهو يمسح على ظهر «عادل» بيديه قائلاً:

ـ ما بك يا عزيزي؟ ألن نتناول غذاءنا بعد قليل،هم أيضًا جياع وقد حان موعد غذائهم، ماذا حدث لكل هذا؟ استرخ.

هب «عادل» غاضبًا مما رأى وحاول المغادرة، ولكن «ياسين» منعه قائلاً:

ـ إلى أين يا عزيزي جوزيف؟، أم أدعوك باسمك الحقيقي يكون أفضل، إلى أين يا صديقي العزيز «عادل»؟

فصعق «عادل» حينما لفظ «ياسين» اسمه، وحاول التملص منه قائلاً:

ـ ماذا تقول أنت؟ من «عادل» هذا؟ أنا «جوزيف»... هل اختل عقلك؟

ضحك «ياسين» وهو يجلس «عادل» على المقعد عنوة حينما أراد أن ينهض.

ـ حقاً.. لقد أحسنت يا «عادل»، فما فعلته أنت لم يفعله معي مخلوق، لقد كنت أذكى مني، أعترف لك بذلك، ولكنك للأسف وثقت بذكائك؛ فخانك.

حاول «عادل» التخلص من قبضة «ياسين» التي تضغط عليه، ولكن لا مفر أمامه فـ«ياسين» يقف بجواره وبيده سكين الطعام وهو يلوح به في وجهه، وعلى يمينه «بركة التماسيح» التي تنتظر سقوطه بلهفة؛ فلقد فتح «ياسين» أقفال القضبان وبمجرد سقوط «عادل» على القضبان سوف تنزلق به إلى أسفل، لتهوي به إلى التماسيح الجائعة؛ فحقًا الأمر مريع ومرعب، ولا يوجد أمام «عادل» مفر، سوف يموت حتمًا، وبعد محاولات من «عادل»

ليفلت من قبضة «ياسين» باءت بالفشل، اعترف عادل فقال:

ـ نعم أنا «عادل» يا «ياسين»، أنا ضحيتك، أنظر ماذا فعلت يداك؟ لقد محت «عادل» من الوجود فلم يبق له أثر ولا اسم ولا وجه.. لماذا فعلت بي كل هذا السوء؟ فأنا لم أفعل بك يوما سوءًا، كنت لك خير الصديق، حرمتني من أحلامي ومن أمي ومن حبي، حرمتني من حريتي ومن نفسي...فما هذا السوء والظلام الذى يسكنك؟ ولكن ليكن بعلمك لن تكون «سيلا» لك، حتى بعد موتي فسوف أخلصها منك، ومن لعنتك.

ضحك «ياسين ضحكات شيطانية متواصلة ثم قال:

ـ لا تهتم لـ «سيلا» فأنا سوف أهتم بها بعد موتك، والآن فلتتشهد على روحك؛ فلا يصح أن تموت بدون شهادة.

فنظر «عادل» إلى البركة، ثم نظر إلى «ياسين» الذي وضع السكين على عنقه وقال:

ـ حسنًا... أشهد أن لا إله إلا الله.

قام بحركة فجائية؛ فدفع المقعد الذي يجلس عليه وسقط على الأرض، وهو يسحب «ياسين» من قدمه، الذي اختل توازنه؛ فسقط فورًا فوق القضبان؛ فأخذته وهوت به إلى قاع البركة؛ فالتهمته التماسيح وهو يصرخ، أما «عادل» فلقد جرحت السكين

عنقه جرحًا بالغًا، وأخذ ينزف بشده، ولكنه حاول أن يتمالك نفسه حتى خرج إلى باب الفيلا زحفًا، ثم سقط مغشيًا عليه فشاهده رجاله؛ فأخذوه فورًا إلى المشفى، وهناك تم إنقاذه، فلقد أراد الله له الحياة، وعلمت «سيلا « بهذا فعادت مسرعة لتكون بجوار حبيبها حتى استعاد عافيته.

بموت «ياسين»، أصبحت كل ثروته ميراثًا لزوجته ولوالديه، الذين رفضوا هذا الميراث الملعون، فهم يعلمون بأنهم لا حق لهم فيه، فتنازلوا عنه لـ»سما»، التي استعادت وعيها وصحتها فور علمها بمقتل «ياسين» ذلك الوحش الذي دمر حياتها، وسلب منها والدها.

تزوج «عادل» من «سيلا» باسم «جوزيف» وشكله، وبروح «عادل» وقلبه، فحقًا «عادل» الذي أماته ظلم «ياسين «وقهر الحياة، أحيته «سيلا» بحبها من جديد؛ فهي وحدها من تعلم بأنه «عادل»، هي وحدها من تراه كـ»عادل» لا «جوزيف»، التي عشقته فحفرته في ذاكرة قلبها، وسجلتها في وجدانها هي وحدها، التي ترى عادل في عيونها بصورته الحقيقية،»عادل» بوجهه واسمه وروحه وكيانه، وحدها من أحيت «عادل» من جديد، وحدها من سيعيش بها ولها، وحدها الشاهدة على وجود «عادل».

«من العشق ما يحيي ومنه ما يميت»

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution